الباب الثانى

.. كيف تحولت المسيحية من مسار التسامح إلى العنف؟

- الفصل الأول:

  بين نصوص الإنجيل

  وسلوكيات أتباعه

- الفصل الثانى:

  .. العنف المسيحى كان ولايزال

  ضد المسيحيين أيضا!!

- الفصل الثالث:

  ملامح التعاون بين الإرهاب

  اليهودى والتطرف المسيحى

الفصل الأول

بين نصوص الإنجيل وسلوكيات أتباعه

قد نكون من الذين يؤمنون إلى حد التقديس.. بأن الدين المسيحى، قد ظل قرابة ثلاثمائة عام يسير فى ضوء ما جاء به المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من تعاليم أوحى بها الله إليه. وهى التى تقوم فى الأساس على التوحيد وعبادة رب العالمين.. والتصديق بما كان قبله فى رسالة موسى عليه السلام غير المحرفة ثم التبشير بالرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام كخاتم الأنبياء والرسل، متخطية بذلك ما التصق بها من تحريف أصابها بعد هذا الوقت بسنوات قليلة.. وظل ملتصقا بها منذ أن اعترفت الامبراطورية الرومانية بالمسيحية، كدين رسمى للدولة وللامبراطور!

هذا الاعتراف الرومانى بالدين المسيحى، قد جاء بعد فترة اضطهاد طويلة تعرض لها أتباع ذلك الدين الحنيف، وللأسف لم يتوقف هذا الاضطهاد الذى صاحب الاعتراف الرومانى بالمسيحية إلا بعد وقوع ذلك التحريف الذى أصاب هذا الدين، عندما جعل بعض أتباعه من المسيح عيسى ابن مريم إلهاً أو نصف إله؛ وذلك على عادة أهل الرومان آنذاك.. حيث كان الحاكم أو الكاهن أو رجل الدين، ينظر إليه على أنه ينتمى إلى طائفة الآلهة!!

ولقد أكد هذا الاعتقاد الرومانى الجديد للديانة المسيحية مشاركة بنى إسرائيل فى تحريفهم لتعاليم المسيحية انتقاماً من المسيح عليه السلام نفسه.. بعدما فشلوا في قتله، وقد عرفوا بأن الله تعالى قدر رفعه إليه، وأنهم قد اتخذوا من حادث الرفع هذا حجة يقنعون بها أتباع المسيحية بأن المسيح هو إله أو ابن الإله!

والغريب أنهم قد نجحوا فى إقناع القلة من أتباع الدين المسيحى بهذا الاعتقاد، وأفهموهم بأن هذا الإيمان الجديد سوف يساهم فى رفع حالات الاضطهاد عنهم.

بل وأكثر من ذلك، فقد دفع بنو إسرائيل بعض حكمائهم من الذين ادعوا الإيمان بالمسيحية الأولى. لكى يكتبوا الإنجيل الذى سمعه بعض أهليهم محرفاً مع تغذيته بنفس فكرة ألوهية المسيح؛ إرضاء لحكام الرومان آنذاك!

ولسوف يتضح لنا ذلك بجلاء حين نستعرض بعض الذى قاله أساتذة علماء الأديان.. عن مراحل تسجيل الإنجيل وكتابته!.

• • •

ومع ذلك فإن الشىء المؤسف حقاً أن ما جاء بالإنجيل الكريم من تعليمات ووصايا طيبة.. ليس له أدنى ارتباط بما جاء به أيضا من التأكيد على فكرة ألوهية المسيح، ولسوف نلاحظ ذلك بوضوح حين نسرد بعض هذه الوصايا والتعاليم السمحاء التى نادى بها المسيح عليه السلام باعتباره عبداً من عباد الله الصالحين الذين تم اختيارهم لتبليغ رسالة السماء من لدن رب العالمين من أجل تصحيح واستكمال الديانة اليهودية بعد ما أصابها من تحريف وتزوير!.

ولو حاولنا أن نربط بينها وبين خرافة ألوهية المسيح سوف نفاجأ بوجود فروق عديدة بين هذه التعاليم الطيبة السمحاء وبين ما حرفه بنو إسرائيل وشياطينهم من الانس من الذين نجحوا فى مهمة تحريف الإنجيل مثلما حرفوا التوراة من قبل!

ولقد جاء القرآن الكريم ليفضح تلك المحاولات اليهودية والتى غيرت الديانة المسيحية بما أضافوه من عندهم من تفاصيل اقتربت كثيراً من الذات العلية، عندما رفعوا النبى عيسى عليه السلام إلى مرتبة الإله، أو أنه ابن الله!.

بل وأكثر من ذلك فقد فضح القرآن الكريم محاولات اليهود وقولهم بأن ما ادعوه على المسيح عليه السلام من أنه إله.. إنما كان بتعليمات من عنده عليه السلام ويتضح ذلك بجلاء فى قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا**

لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

• • •

وهناك بخلاف هذه الآية الكريمة عشرات الآيات القرآنية والتى تدافع عن هذا النبى الكريم باعتباره بشراً خلقه الله من غير أب.. مثلما خلق من قبله آدم عليه السلام من غير أب أو أم!

بل ويبين لنا القرآن الكريم أن هذه لم تكن الجريمة الأولى التى يرتكبها اليهود فى حق رب العالمين بادعائهم أن عيسى هو ابن الله.. حيث هناك جريمة قد سبقتها حين ادعوا فى كتبهم المقدسة.. أن عزيرًا ابن الله فبئس ما ادعوا.. وقالوا تحريفا وتزويراً.

من كل ذلك نخرج بنتيجة مهمة مؤداها أن المسيحية قد ظلت على نقائها القائم على سُنة التوحيد وعبادة رب العالمين لأكثر من ثلاثمائة عام.. ثم أصابها داء التزوير والتحريف، على أيدى اليهود. مما حدا بطائفة من المؤمنين بالمسيح عيسى ابن مريم كرسول بشر من قبل رب العالمين بالهرب بدينهم ودخول الكهف الذى مكثوا فيه أكثر من ثلاثمائة عام، وهى الطائفة المؤمنة التى تحدث عنها القرآن الكريم فى سورة الكهف.

إلى جانب ذلك هناك نتيجة مهمة أخرى ولا يمكن بأى حال أن تنفصل عن النتيجة السابقة، وهى أن الدولة الرومانية التى احتلت الشرق والغرب آنذاك، هى التى دفعت رعاياها إلى اعتناق الدين المسيحى الجديد بعد تزويره وتحريفه.

وهذا يعنى فى المقام الأول أن أوروبا سواء القديمة أو الحديثة هى التى لعبت دوراً كبيراً فى إحداث هذا التحريف، ولولاهم لظل أهل الشرق من أتباع المسيح عليه السلام على دينهم الحق القائم على التوحيد بالله تعالى.

ويا ليت الأمر قد توقف لدى الرومان الذين يعتبرهم أهل التاريخ من

الإمبراطوريات الأوروبية القديمة، عند حد التحريف فى دين الله وإجبار أتباعه على اعتناق ذلك التحريف.. بل لقد استمروا فى اضطهادهم لأتباع المسيح حتى من الذين تظاهروا بقبول هذا التحريف، مما جعلهم ينحرفون بالشريعة المسيحية من التسامح الذى جاء به المسيح عليه السلام.. إلى العنف الأبدى المصحوب بالإرهاب، بكل صوره وأشكاله.. سواء فى العصر القديم أو الوسيط أو الحديث أيضاً!

وهذا يوضح لنا ذلك التناقض العجيب بين ما هو موجود الآن حتى فى الأناجيل المكتوبة من تعاليم مسيحية جميلة وسمحاء وبين ما هو حادث الآن وبالأمس سواء القريب أو البعيد من قبل أتباع هذا الدين. حيث خالفوا تلك التعاليم وهذه الوصايا السمحاء الطيبة.. ليس ضد أعداء ذلك الدين فقط حسب زعمهم، بل وضد أتباع المسيحية نفسها.

ولسوف نوضح ذلك أيضا فيما هو آت من فصول نتحدث من خلالها عن كيفية تسرب العنف إلى المسيحية بعد تحريفها وتزويرها مما يخالف ما هو موجود الآن من تعاليم طيبة حتى فى الأناجيل التى تقوم فى الأساس على فكرة التثليث، والتشكيك فى بشرية المسيح عليه السلام، ثم رفعه إلى مرتبة الآلهة.. مثلما كان الأباطرة الرومان من قبل.

والأساطير الإغريقية والرومانية بها آلاف، بل ملايين الأدلة على ذلك، وكلها تؤيد أن الإمبراطور، إنما هو فى نظر المحكومين، الإله أو ابن الإله.

ولماذا نذهب بعيداً.. ولدينا مثال قريب منا أيضاً. حيث ادعى فرعون من قبل بأنه إله..

• • •

وحين نعود لحديث الإنجيل وما جاء به من تعاليم ووصايا وتشريعات خالفها أتباع المسيح عليه السلام خاصة فى الغرب فى تعاملهم مع أنفسهم ومع الآخرين.. لابد أن نؤكد على أن الهم الأكبر لبنى إسرائيل لأجل صرف هؤلاء الأتباع عن مسار دينهم الصحيح، هو التشكيك فى هدف هذه الديانة الجديدة

والقائم فى الأساس على وحدانية الله. . وكون عيسى ابن مريم عليه السلام من البشر وليس من الملائكة أو من الآلهة!.

ونجاحهم فى تحقيق هذا الهدف إنما كان يعنى فى الأساس نجاحهم فى ضرب هذه الديانة فى مقتل، حيث تم إبعاد أتباعها عن الوحدانية والإيمان بالله مثلما أصابهم تماماً بعد تحريف دينهم.

وقد شعروا بعد تحقيق هذا الهدف بالسمو والرفعة والتفوق دينياً. . باعتبارهم قد أصبحوا وحدهم الذين يقدسون الله تعالى ويعبدونه على حد زعمهم، وهذا يؤكد لدينا فشل اليهود ومن كان معهم فى تزوير روح الشريعة المسيحية ووصايا ذلك النبى الكريم ولذلك فقد ظلت تلك الوصايا السمحاء وهذه التعاليم الطيبة موجودة من بين ثنايا كلمات الإنجيل، رغم محاولات الدس المستمرة بالتشكيك فى بشرية عيسى عليه السلام لإفساد هذه الوصايا وتلك الشرائع، ولإعطائها صفة الألوهية، وبالتالى إفهام أتباع ذلك الدين بأن الالتزام بتلك الوصايا وهذه النصوص ليس من الواجب فى شىء، لأن صاحبها وهو على حد زعمهم إلههم أو ابن الإله، سوف يشفع لهم يوم الحساب!!

ولذلك نلاحظ كثيراً أن الديانة المسيحية قد اختلطت بأشياء كثيرة حتى فى العبادات. . وأصبح مكانها الآن داخل الكنائس فقط!

• • •

وحتى بعض المؤمنين من المسيحيين من الذين حاولوا الالتزام بروح نصوص الإنجيل بما فيه من تعاليم طيبة وأخلاقية، يواجهون الكثير من الضغوط الرسمية أو غير الرسمية لأجل عدم الالتزام بحرفية هذه النصوص وتلك الوصايا والشرائع.

وهذا ما نشاهده كثيراً خاصة بين الطوائف المسيحية الثلاثة فيما يخص بعض تفاصيل الشريعة وكيفية تطبيقها والالتزام بها.

ولقد ظهر هذا الخلاف بقوة فى الكنيسة الغربية من دون الشرقية، حيث

ضاعت فعلاً معالم المسيحية الحقيقية، وتحولت إلى ديانة جديدة أضيف إليها الكثير، كما أضيف إلى الديانة اليهودية من قبل، وكانت تلك الإضافات بأيدى محترفى التزوير من رجال الكنيسة أيضا سواء فى العصور القديمة أو التالية لها!.

وما نراه الآن فى الغرب الأوروبى وكذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية، لا يمت فعلاً بأية صلة للدين المسيحى الحقيقى سواء من حيث ما تنادى به من وحدانية الله وبشرية رسوله، أو ما ينادى به المسيح نفسه من وصايا وتعاليم تحض على التسامح والعفو عند المقدرة والعطف والإخلاص والطهارة والنظافة والإيمان، وذلك مما هو موجود الآن من تعاليم فى كل الأناجيل المكتوبة والمتداولة حالياً.

• • •

وحتى لا يظن من يقرأ كلماتنا السابقة أننا نتحدث عن خروج الدين المسيحى عن مساره الصحيح من خلال تزوير وتحريف الإنجيل، إنما يصدر عن هوى خاص أو تشيع أو عنصرية دينية.. ننقل لكم بعض الذى سطره الدكتور موريس بوكاى فى أحدث كتبه حيث يقول عن تاريخ الإنجيل وما ورد فيه مخالف لدين الله: «لم يأت ذكر الأناجيل فى الكتابات والنصوص التى تنحدر إلينا من المراحل الأولى للمسيحية حتى مر وقت طويل على النصوص التى كان قد كتبها بولس، ولقد بدأ ظهور مجموعات من الكتابات الإنجيلية فى منتصف القرن الثانى الميلادى، وبالتحديد بعد عام ١٤٠م. وبالرغم من ذلك نجد أنه اعتباراً من بداية القرن الثانى الميلادى يصرون بوضوح على أنهم يعرفون عدداً كبيراً من رسائل بولس»[١].

وفى موضع آخر من هذه الدراسة عندما يتساءل المؤلف عن مصادر الأناجيل.. نراه يقول: إن الخطوط العامة بعد أن استخلصناها من الفحص النقدى لنصوص الأناجيل تفضى بنا إلى أن نعتقد أن هذه النصوص بتلك الأناجيل إنما هى كتابات أدبية إنشائية ومفتقرة إلى الحبكة الدقيقة لتصل إلى الاكتمال. كما يبدو عليها سمات التناقض الواضحة. وهذه هى الأوصاف

(١) التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث ـ د. موريس بوكاى ترجمة على الجوهرى.

المستخدمة بالطبعة المسكوفية للعهد الجديد، وهى الطبعة التى يهمنا الرجوع إليها فى هذا الصدد حيث أن نتائج بحث هذا الموضوع إنما هى نتائج جد خطيرة. ولقد رأينا أن بعض المعلومات عن تاريخ ميلاد الأناجيل يعطينا بوضوح السمات الأساسية لهذه النصوص الموجودة بكل منها مما يفضى بالقارئ لنصوصها إلى كثير من البلبلة».

وفى موضع ثالث على جانب كبير من الأهمية لما جاء فيه. يؤكد الدكتور «بوكاى» إنه يخطئ من يعتقد أن الأناجيل بمجرد تحريرها كانت تشكل الكتب المقدسة الأساسية للمسيحية الوليدة، أو أن المسيحيين الأوائل قد اعتمدوا على هذه الأناجيل ككتب مقدسة مثلما كانوا يعتمدون على العهد القديم أو التوراة!

كذلك كان هناك تداول لكثير من الكتابات عن المسيح فى العصور الأولى للمسيحية، غير أنه لم يتم الاعتراف الرسمى من جانب الكنيسة بكل تلك الكتابات باعتبارها صحيحة.

ولقد أخفت الكنيسة الكثير من هذه الكتابات، واعتبرتها أناجيل مزورة من ذلك: «إنجيل برنابا». كما أن هنالك أناجيل أخرى تم استبعادها بشكل حاسم وقاطع، واجتهدت الكنيسة فى ملاحقتها للقضاء عليها لأنها من وجهة نظرهم تتضمن كثيراً من الأخطاء العامة المؤثرة على الناس!».

ويختتم د. بوكاى ملاحظاته على الأناجيل المسيحية بقوله: «لقد تعامل آباء الكنيسة مع مصادر كل إنجيل من الأناجيل بمنتهى البساطة دون بحث كاف أو تمحيص دقيق، وفى القرون المسيحية الأولى كان المصدر الوحيد المتاح لنصوص العهد الجديد يتمثل فى المخطوطات التى وجدت أولاً مثل نصوص إنجيل متى. وكان الاهتمام بمصادر النصوص يتم بحثه فقط بالنسبة لنصوص إنجيل مرقس ولوقا. أما إنجيل يوحنا فهو يشكل حالة فريدة قائمة بذاتها دون مثيل[1].

• • •

(١) المصدر السابق.

ولو تركنا حديث هذه الملاحظات التى ترتبط ارتباطاً مباشراً بموضوع هذا الفصل.. لإكمال بقية وجهة نظرنا فيما يخص حالة الانفصام الشديدة التى لاحظناها بين ما جاء من نصوص أخلاقية فى الإنجيل الواحد أو فى كل الأناجيل. مع الإيمان الكامل بكل ما قيل بشأنها، سوف نكتشف أن حالة الانفصام هذه بين النصوص وبين معتقدات أصحابها إنما تمتد لسنوات قريبة للغاية من بداية تاريخ المسيحية. كذلك لاحظنا أن هذا الانفصام بين المعنى وبين التطبيق لدى أصحاب الديانة المسيحية قد اختلف بين مسيحيى الشرق والغرب. إذا حاول مسيحيو الشرق ولايزالون فعلاً التمسك بما جاء فى هذه النصوص على الأقل فى مجال التسامح بصرف النظر عن اختلاف المعتقدات والشرائع، وهو ما تخلى عنه مسيحيو الغرب الذين شغلوا أنفسهم كثيراً فى البحث عن التميز الدينى والتعصب الأعمى لكل ما هو مسيحى حتى ولو كان على خطأ.

وقد يكون لإسلوب التربية وانتشار الأخلاق الحسنة والعادات الطيبة لدى كل الشرقيين أثره الفعال فى استمرار المسيحيين الشرقيين فى التمسك بما جاء من تعاليم سمحاء بالإنجيل، إضافة إلى عدم اعترافهم بالماديات وتفضيلهم دائما الروحانيات.. رغم تواضع مستوى معيشتهم فى أغلب البلدان.

وقد يكون هناك سبب آخر أكثر أهمية وهو تمسك أبناء المسيحية الشرقية بالوطنية التى كثيراً ما فضلوها على غيرها من التعاليم القائمة على العنصرية، بدليل أن مسيحيى الشرق قد وقفوا بقوة وحزم ضد محاولات الاستعمار الأوروبى للاستيلاء على بلادهم، جنباً إلى جنب مع بقية أفراد شعوبهم سواء من المسلمين أو من الملحدين.

ولقد تجلت هذه المواقف الكثيرة فى تاريخ مصر وسوريا ولبنان عندما أظهر رعايا هذه البلدان كفاحهم ضد كل ما هو مسيحى يريد الاستيلاء على مقدرات بلادهم.

وهناك آلاف الأمثلة التى توضح لنا ذلك.. مثلما حدث فى زمن الحملات

الصليبية وحركات الاستعمار الأوروبى الجديد الذى انطلق بشراهة بعد الحرب العالمية الثانية.

• • •

والآن نقدم نماذج مهمة من وصايا وتعاليم المسيح عليه السلام.. وهى كلها تصب فى نهر الأخلاق والقدوة الحسنة والتسامح والإخاء ومعاملة الناس بالحسنى.. ثم بعد ذلك نقدم نماذج أخرى من سلوكيات أتباع المسيح عليه السلام.. سواء فى العصور القديمة أو الوسيطة أو الحديثة بما يوحى بأن هؤلاء المسيحيين قد تركوا سماحة المسيح واستبدلوها بالعنف. والذى سوف نبين أصوله ومفاهيمه وخطورته أيضا.. ذلك لأن هؤلاء الأتباع من الذين خالفوا تعاليم المسيح لم يكتفوا بهذا العنف.. ضد من هم غير أتباع المسيح سواء من أتباع الديانات الأخرى أو الشعوب الأخرى فقط، بل ومارسوه وبقسوة ضد المسيحيين أنفسهم!!.

يقول المسيح عليه السلام فى إنجيل متى وهو من أوائل الأناجيل المسيحية والذى يقال إنه دون وتم تأليفه عام ٦٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة، وهى اللغة التى كانت مستخدمة فى المحادثة والكتابة[١]:

**** ولما رأى الجموع (المسيح عليه السلام) صعد إلى الجبل، فلما جلس تقدم إليه تلاميذه، ففتح فاهه وعلمهم قائلاً: طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات، طوب للحزانى لأنهم يتعزون، طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض. طوبى للجياع والعطاشى إلى البر؛ لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون. طوبى لصانعى السلام، لأنهم أبناء الله يدعُون، طوبى للمطرودين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السماوات. طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى، كاذبين، إفرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم فى السماوات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم.**

(١) الأسفار المقدسة ـ مصدر سابق.

** لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإن الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض ولايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا، يُدعى أصغر فى ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلم، فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السماوات. فإنى أقول لكم: إنكم إن لم يزد بركم لن تدخلوا ملكوت السماوات. وقد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقاً، يكون مستوجب المجمع، ومن قال: يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنم، فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح، واذهب أولاً واصطلح مع أخيك، وحينئذ تعالى وقدم قربانك، كن مراضيا لخصمك سريعاً مادمت معه فى الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى، ويسلمك القاضى إلى الشرطى، فتلقى فى السجن، الحق أقول لك: لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير.

** وقد سمعتم أنه قيل للقدماء: لاتزن، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها فى قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فأقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقاها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم.

** وسمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا، ومن سخرك ميلاً فاذهب معه اثنين. من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.

** وسمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.

** لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ليسرقوا. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا. سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً، فإن كان النور الذى فيك ظلاماً فالظلام كم يكون، ولا يقدر أحد أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال.

** وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما، إن سمع منك فقد ربحت أخاك وإن لم يسمع، فخذ معك أيضا واحداً أو اثنين، لكى تقدم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. الحق أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء[1].

* * *

وبالبحث والتنقيب عن مثل هذه الوصايا والنصائح التى قالها المسيح عليه السلام فى الإنجيل الثانى فى ترتيب العهد الجديد وهو «إنجيل مرقس».. لم نجد كثيراً من تلك الوصايا.. بل تكاد تكون معدومة إلا فى بعض الأسطر المتعلقة بالشريعة المسيحية، وعلى أية حال فقد كتب هذا الإنجيل حوالى سنة ٦٣ أو ٦٥ ميلادية.

أما «إنجيل لوقا» ثالث الأناجيل المسيحية من حيث الترتيب فى العهد الجديد..

(١) العهد الجديد - إنجيل متى.

فقد وجدنا فيه كمًا كبيرًا من هذه الوصايا. . سوف نسوق بعضها على سبيل المثال لا الحصر. . بعد أن نعرف بعض المعلومات عن كاتب هذا الإنجيل وتاريخ كتابته. .

يقول كولمان: أن لوقا هو كاتب قصص وروائى حقيقى، وهذا يبدو بوضوح فى طريقة كتابته لما جاء فيه سواء من معلومات تاريخية أو دينية أو نصائح ووصايا.

ويقال إنه سجل ما جاء فى إنجيله ما بين أعوام ٦٣ أو ٦٥ ميلادية باللغة اليونانية، وليس باللغة اللاتينية كما يذكر ذلك بعض المؤرخين العرب.

كما يقال إن لوقا قد كتب هذا الإنجيل وفق ما سطره ابن خلدون إلى بعض كبار الروم.

ومن أهم ما جاء فى هذا الإنجيل من تعاليم ووصايا المسيح:

**** أحسنوا إلى مبغضيكم، باركوا لاعنيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم. من ضربك على خدك فأعرض له الآخر أيضا، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضا، وكل من سألك فأعطه، ومن أخذ الذى لك فلا تطالبه. وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضا بهم هكذا. وإن أحببتم الذين يحبونكم، فأى فضل لكم؟ فإن الخُطاة أيضا يحبون الذين يحبونهم، وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأى فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضا يفعلون هكذا، وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم، فأى فضل لكم؟. فإن الخطاة أيضا يقرضون الخطاة لكى يشتروا منه المثل، بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بنى العلى، فإنه منعم على الشاكرين والأشرار فكونوا رحماء.**

**** ولا تدينوا فلا تدانوا. لا تقضوا على أحد، فلا يقضى عليكم. اغفروا يغفر لكم. أعطوا تعطوا، كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون فى أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذى به يكيلون يكال لكم.**

** لا تحملوا شيئاً للطريق: لا عصا ولا مزوداً لا خبزاً ولا فضة، ولا يكون للواحد ثوبان، وأى بيت دخلتموه فهناك أقيموا ومن هناك اخرجوا، وكل من لا يقبلك فاخرجوا من تلك المدينة، وانفضوا الغبار أيضا عن أرجلكم شهادة عليهم.

** من منكم يكون له صديق ويمض إليه نصف الليل، ويقول له يا صديق أقرضنى ثلاثة أرغفة، لأن صديقاً لى جاءنى من سفر وليس لى ما أقدم له، فيجيب ذلك من داخل ويقول: لا تزعجنى! الباب مغلق الآن. وأولادى معى فى الفراش. لا أقدر أن أقوم وأعطيك. أقول لكم: وإن كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه، فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج. وأنا أقول لكم: إسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، إقرعوا يفتح لكم، لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له.

** ليس أحد يوقد سراجاً ويضعه فى خفية، ولا تحت المكيال، بل على المنارة، لكى ينظر الداخلون النور، سراج الجسد هو العين فمتى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً، ومتى كانت شريرة فجسدك يكون مظلماً. انظر إذا لئلا يكون النور الذى فيك ظلمة لإن كان جسدك كله نيراً.. ليس فيه جزء مظلم يكون نيراً كله كما حينما يضىء لك السراج بلمعانه.

** قال المسيح لتلاميذه: لا يمكن إلا أن تأتى العثرات، ولكن ويل للذى تأتى بواسطته! خير له لو طق عنقه بحجر رحى وطُرح فى البحر من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار، احترزوا لأنفسكم، وإن أخطأ إليك أخوك فوبخه وإن تاب فاغفر له وإن أخطأ إليك سبع مرات فى اليوم، ورجع إليك سبع مرات فى اليوم قائلاً: أنا تائب فاغفر له[1].

• • •

ولو أعدنا قراءة ما سبق وتلوناه من هذه الوصايا والتعاليم المسيحية الطيبة..

(١) إنجيل لوقا ـ العهد الجديد.

واستعرضنا فى المقابل. كيف يعامل أتباع المسيح سواء فى الماضى أو فى الحاضر أو فى العصور الوسيطة، غيرهم من بنى البشر خاصة من أصحاب الديانات الأخرى وعلى وجه الخصوص من أتباع الدين الإسلامى، وأبناء الشرق عموماً، سوف نفاجأ بهذا النقيض الغريب، بين ما يحفظونه ويسمعونه داخل كنائسهم وبين ما جاء فى الأناجيل من وصايا وتعاليم.

ليس هذا فقط.. بل وكثيراً ما نسمع عن هذه الوصايا السمحاء فقط فى أدبياتهم وفى كل كتاباتهم، من دون معاملتهم فى الواقع..

وحوادث التاريخ بها ملايين الأدلة والمشاهد التى تؤيد ذلك التناقض والذى يحتاج فعلاً إلى دراسة مستفيضة لبيان أسبابه، بعد ما عرفنا نتائجه!

وما سوف نقدمه من نماذج لبيان هذا التناقض إنما هو على سبيل المثال وليس الحصر..

وبقراءة كل من الوصايا.. ونتائج حوادث التاريخ ونتائجها الناجمة عن أفعال المسيحيين المتطرفين والتى تتسم أغلبيتها بالعنف سواء الأدبى أو المسلح سوف تتضح لنا تلك الفروق العظيمة والتى نسعى لبيانها، بهدف تقريب وجهات النظر التى تتحدث دائما عن الإسلام وعلاقته بالعنف والإرهاب.. سواء من جانب اليهود أو من معظم المسيحين، خاصة من الغربيين! كذلك سوف يتبين لنا.. أيضا.. الدوافع التى جعلت من أتباع المسيح عليه السلام ينقلبون من رعايا دين سمح.. إلى وحوش لا هم إلا التهام كل ما هو غير مسيحى!

ليس هذا فقط، بل وسوف نبين فى الفصل القادم.. كيف لم يفرق أتباع المسيح فى العالم الغربى فى تعاملاتهم العنيفة، بين ما هو مسيحى وغير مسيحى. حيث استخدموا أبشع وسائل العنف والإرهاب حتى ضد أتباع المسيح نفسه، وعلى مدى كل العصور!!.

وأرجو ألا ينزعج من يتابعوننا فوق هذه الأوراق من القول بأن معظم حوادث التاريخ قد أثبتت أن العنف المسيحى قد استخدم بقسوة ضد المسلمين

ودينهم!!، وبدون أسباب تدعو لذلك.. رغم ما جاء فى القرآن الكريم من كلمات وعبارات تعظم المسيح عليه السلام وأمه.. بل وتنادى بضرورة التعامل الطيب والمجادلة الحسنة مع أهل الكتاب ومنهم أتباع المسيح عليه السلام، فى مقابل تسامحهم مع بنى إسرائيل. إلا فى حالات زمنية مؤقتة سرعان ما تزول آثارها، وهم الذين ينكرون فى الأصل كل ما هو مسيحى. بل وأنهم هم الذين ارتكبوا جريمة محاولة صلب المسيح عليه السلام!

وهذا ما يدعو للأسف والحسرة.. وما يحدث الآن فى العالم سواء من اليهود أو من المسيحيين الغربيين والأمريكيين إلا دليل قوى على ضياع تعاليم المسيح عليه السلام فى الهواء، وضياع مفعولها وتأثيرها على أتباع تلك الديانة!.

• • •

وما نحب أن نشير إليه فى سياق الحديث عن تقديم الأدلة التاريخية لارتباط أصحاب الديانة المسيحية خاصة فى الغرب وأمريكا بالعنف وابتعادهم عن التسامح الذى نادى به المسيح عليه السلام. إنما سيكون على سبيل المثال لا الحصر، ذلك لأن هناك كما سبق أن ذكرنا ملايين الأمثلة على ارتكاب أهل الغرب من المسيحيين.. لملايين من جرائم العنف خاصة ضد المسلمين وأتباع الدين الإسلامى، فى كل مكان!.

ولقد انقسم العنف المسيحى بعد انتشار هذا الدين واعتراف الامبراطورية الرومانية به كدين رسمى للدولة. إلى تيارين أساسيين.. الأول يقوم على الضرب بيد من حديد ضد الوثنيين من أهل الإمبراطورية الرومانية ورعاياها.. والثانى ضد المسلمين الذين بدأوا ينتشرون بقوة فى العالم المسيحى بعد نجاح أسلافهم فى فتح الكثير من البلاد المسيحية.

وقد انقسم العنف المسيحى ضدهم أيضا إلى تيارين الأول بدأ من خلال كتابات المبشرين والمؤرخين، والثانى من خلال الممارسات القمعية!!.

وإذا كان السلوك المسيحى ضد الوثنيين من غير المسيحيين.. خاصة فى القرون

العشرة الأولى من ميلاد المسيح عليه السلام، كان له ما يبرره على الأقل فى أذهان رجال الكنيسة.. حيث نظروا إلى هؤلاء على أنهم من الهراطقة الذين يجب القضاء عليهم أو الإيمان برسالة المسيح!

وهذا التغير فى حد ذاته يتنافى تماماً مع تعاليم المسيح عليه السلام ووصاياه السابق الإشارة إليها.

كما يبدو ذلك واضحاً من قول الدكتور توفيق الطويل، بأن آباء الكنيسة قد تشبعت وجهات نظرهم وفقا للظروف التى أحاطت بهم، فناهضوا الاضطهاد ونددوا بالتعصب يوم أن كانت السلطة فى يد خصومهم ممن لا يدينون بدينهم. فلما تمكن نفوذ الكنيسة وتهيأت السلطة لرجالها، وأصبح فى مقدورهم أن يتحكموا فى خصومهم، تولاهم التزمت ونزعوا إلى الاضطهاد[1]..

وكان ذلك بالضبط منذ اللحظة التى ظفرت فيها الكنيسة بالرعاية فى عهد قسطنطين.

ويؤكد الكثير من المؤرخين أن أول من عانى من العنف المسيحى بعد استحلال فكرة الاضهاد الدينى كانوا من اليهود وأهل الوثنية، وذلك عندما أصدر الامبراطور قسطنطين قانونا يقضى بإحراق كل يهودى يلقى على كل من اعتنق المسيحية حجراً، وعقاب كل مسيحى تهود ـ أى اعتنق اليهودية ـ ثم عدل العقاب إلى مصادرة الأملاك، وإن تزوج يهودى من مسيحية يعدم فوراً!!.

وكان أول قانون تم وضعه ينص على الإعدام كعقوبة للملحدين من غير المسيحيين، هو قانون «تيود وسيوس»، وكان أول تطبيق له فى عام ٣٥٨م حين تم إعدام أحد الأسبان!!.

• • •

أما التيار الثانى من تيارات العنف المسيحى ضد غير المسيحيين والذى خالف

(١) قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام - د. توفيق الطويل.

بشدة تعاليم المسيح، فكان كما سبق أن ذكرنا هو اضطهاد الإسلام والمسلمين. الذى شهد أكثر من وسيلة، كان من أهمها الكتابات الاستشراقية والعقاب الجماعى..

أما عن نشأة الاستشراق والذى كان هدفه الأساسى ولايزال الدفاع عن الدين المسيحى ضد المد الإسلامى مع تشويه صورة الإسلام لتنفير الناس منه.. إما لتركه وإما للتشكيك فى الإيمان بما جاء به - فقد بدأ كما يؤكد ذلك العديد من المؤرخين المسيحيين.. فى العصور الوسطى. عندما بدأ الناس يدرسون اللغات ويجمعون المعلومات لأغراض عقائدية محضة، وكانت بداية هذا العمل التبشيرى فى أسبانيا مع سقوط غرناطة فى أيدى المسيحيين فى عام ١٤٩٢م، ثم استؤنفت الدراسات الاستشراقية كجزء من الدراسات السامية بصورة عامة فى روما عندما كانت المشيخة الرومانية مهتمة بتوحيد الكنائس الشرقية[١]. ثم بدأ عود الاستشراق يشتد بعد اهتمام البابوية بأمر اتحاد الكنائس ومحاولة التوصل إلى اتفاق مع المسيحيين الشرقيين لتنظيم صفوفهم ضد الإسلام.

ويبدو أن هذا التيار التبشيرى كان هو البداية الحقيقية للتمهيد لشن الحملات الصليبية ضد الإسلام!!، ثم لحقه بعد ذلك عدة تيارات أخرى اتسمت جميعها بالعنف الذى كان يقف وراءه أيضا كل رجال الكنيسة فى أوروبا!.

ومما يشير إليه العديد من المؤرخين فى مجال الحديث عن دور الاستشراق الغربى فى نشر العنف المسيحى ضد الإسلام هو اضطلاع عدد كبير من هؤلاء المستشرقين بمهمة تسفيه الدين الإسلامى والعيب فى رسوله الكريم والنيل منه ومن القرآن الكريم، بدليل وكما يؤكد ذلك الدكتور محمد عمارة أن صورة المسلم فى الثقافة اللاهوتية الغربية طافحة بما يعف القلم عن إعادة كتابته فى كثير من الأحيان، ومع ذلك فهو يقدم لنا بعض النماذج.. حتى يكون حكمنا على ذلك التناقض العجيب بين ماجاء به المسيح عليه السلام من تعاليم وبين سلوكيات أتباعه!!.

---

(١) تراث الإسلام: ج٣ ـ تصنيف جوزيف شاخت وكليفورد بوزدرت ـ ترجمة: د. محمد زهير السمهورى ـ د. حسين مؤنس ـ د. حسان صدقى

فقد كتب أحد المفكرين الألمان عن ذلك يقول: لقد صور المسيحيون الأوروبيون محمداً ﷺ رجلاً عاش حياة داعرة وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط. ولم يتورع خيالهم عن الادعاء بأن رسول الإسلام كان فى الأصل كاردينالا كاثوليكيا، تجاهلته الكنيسة فى انتخابات البابا فقام بتأسيس طائفة ملحدة فى الشرق انتقاماً من الكنيسية، واعتبرت أوروبا المسيحية فى القرون الوسطى محمداً مرتداً عن المسيحية، بل هو المرتد الأكبر!. الذى يحمل وزر إنقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية[1].

وها هو أكبر فلاسفة الكاثوليكية «القديس توما الاكوينى» يتحدث عن رسول الإسلام فيصوره للثقافة اللاهوتية النصرانية بقوله: «لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية، وحرف جميع الأدلة الواردة فى التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التى كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يعيشون فى البادية»!!

أما «مارتن لوثر» رأس البروتستانتية، فهو القائل عن القرآن الكريم: «أى كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن المليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع»»!

ويبدو أن محاكم التفتيش قد عاصرت بدايات الاستشراق فى مجال محاربة المسيحية للإسلام وإجبار معتنقيه من المسلمين فى أوروبا على الخروج منه واعتناق المسيحية!!، كما شملت هذه المحاكم عقاب كل الخارجين على المسيحية سواء من اليهود أو الوثنيين أو المسلمين.

وقد أسندت الكنيسة إلى الأكليروس مهمة اكتشاف المهرطقين وإماطة اللثام عن هرطقتهم التى بدأت فى الانتشار فى القرن الحادى عشر، ثم استفحلت وتفاقمت فى القرن الثانى عشر[2].

---

(١) صور الإسلام فى التراث الغربى ـ هوبرت هير كومر ـ جيرنوت روتر ـ ترجمة ثابت عيد.

(٢) محاكم التفتيش ـ د. رمسيس عوض.

ويؤكد الدكتور رمسيس عوض كذلك أن بعض القديسين ومنهم القديس سان برنارد (١٠٩٠ -١١٥٣) قد وافق على اتباع أسلوب محاكم التفتيش فى التحقيق والاستجواب. كما أن مجمع ريمز فى فرنسا قد اجتمع فى عام ١١٥٧ ليقرر ضرورة استخدام هذه الطريقة الوحشية مع كل مشتبه فى هرطقتهم!، وكذلك نشأت فى كل إسقفية محاكم كنسية أو روحية لمحاكمة المهرطقين!.

وكان المسلمون فى أسبانيا بعد انسحاب أغلبهم من هناك، من الذين قاسوا ويلات تلك المحاكم..، وقد نجح الكثيرون منهم فى الهرب بدينهم من أسبانيا.. ومن تعثرت قدماه فى الهروب، اضطر إلى تغيير دينه خوفاً من هول وفزع هذه المحاكم التى كانت تتم تحت سمع وبصر كبار رجال الكنيسة، ليس فى أسبانيا وحدها بل وفى كل أرجاء أوروبا!، وقد أمر بتكوينها آنذاك الملك فرديناند وزوجته الملكة إيزابيلا فى عام ١٤٥١، بناء على نصيحة الراهب الدومنيكى «هوتور كويمار».

وقد بدأت نشاطها العنيف فى مدينة قشتالة عام ١٤٧٨ ثم أشبيلية وغرناطة، حيث أصبحت تلك المحاكم من أبشع صنوف العذاب ضد المسلمين واليهود والمهزومين أمام جيوش إيزابيلا وفرديناند، كما أجبروا على التنصر من ضعف من المسلمين عن تحمل عذاب هذه المحاكم.. وفى أسبانيا ممن آثر التمسك بدينه وكانوا كثيرين!.

• • •

ونأتى للحديث عن آخر مظاهر العنف المسيحى ضد من هم غير مسيحيين مخالفين بذلك، كما سبق أن أوضحنا.. كل العهود والمواثيق والوصايا التى نادى بها المسيح عليه السلام.

هذا المظهر تجلى بوضوح فى تتابع الحملات الصليبية على الشرق المسيحى والمسلم على السواء. والتى كانت تستهدف استكمال ما بدأه المسيحيون فى أوروبا سواء فى مجال التبشير أو بالنسبة لمحاكم التفتيش!

وهناك عشرات الكتب سواء العربية أو الأجنبية التى تحدثت عن الحملات الصليبية كنوع من الهجمات التتارية التى اشتهرت فى العصر الوسطى أيضا. والتى كانت تستهدف الإسلام، كما تحدثت هذه المصادر وتلك الكتب عن الفظائع التى ارتكبتها تلك الحملات ضد كل ما هو شرقى، بصرف النظر عن كونه مسيحيًا أو غير مسيحى!

ليس هذا فقط، بل لقد استتبع هذه الحملات وفق ما سبق أن أضفناه نوع آخر من العنف المسيحى الأوروبى.. والذى تجلى بوضوح فى تلك الحركات الاستعمارية والتى انطلقت بشراهة للسيطرة على مقدرات كل الشعوب العربية وغير العربية الإسلامية وغير الإسلامية، مما يؤكد تعمد دعاة المسيحية الغربية استخدام العنف لتحقيق مصالحهم، بعدما تخلوا عن تعاليم السيد المسيح عليه السلام.

هذا المعنى يؤكده الدكتور محمد عمارة فى قوله: «ولقد كان للنصرانية الأرثوذكسية نصيبها من اضطهاد المسيحيين والمسلمين على حد سواء. ويحكى لنا «ول ديورانت» فى كتابه قصة الحضارة موقفاً شديد القسوة، مما يدل على عنف المسيحية ضد كل ما هو إسلامى، حيث يقول: «فلقد حدث فى هذه الأثناء [يقصد فترة الحرب الصليبية] أن رأى بعض الجنود اللاتين جماعة من المسلمين يصلون فى مسجد مقام فى مدينة مسيحية، فثارت ثائرتهم وأشعلوا النار فى المسجد، وقتلوا المصلين، وظلت النار مشتعلة ثمانية أيام وامتدت إلى مسافة ثلاثة أميال، وأحالت جزءاً كبيراً من القسطنطينية رماداً وأنقاضاً»!!

ثم ماذا فعلوا بالقدس عندما دخلتها الحركات الصليبية؟! وللإجابة على هذا السؤال، اختار الدكتور محمد عمارة أن يسوق لنا بعض نماذج العنف المسيحى آنذاك من أحد الكتب التى تحدثت عن هذه الحروب والتى أطلقوا كذباً عليها الحرب المقدسة.

هذه النماذج تتجلى بصدق فى نص ذلك الخطاب الذهبى الذى ألقاه البابا «أوريان الثانى» صاحب فكرة الحروب الصليبية أمام فرسان الإقطاع الأوربيين

الذين كانوا فى الأصل لصوصاً متوحشين وقتلة يغير بعضهم على بعض، وقد دعاهم هذا البابا إلى توجيه عنفهم الدموى إلى المسلمين «غير المؤمنين» حسب تعبير البابا «أوربان».. كما طلب منهم غسل أيديهم من الدماء الأوروبية ليس بالماء وإنما بدماء المسلمين!!!.

والكتاب الذى اختار منه الدكتور عمارة تلك النماذج من تأليف «مكسيموس مظلوم». وعنوانه: «تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق»!.

ويكفى أن نسوق العبارة التالية لكى ندلل على هذا العنف المذكور فى ذلك الكتاب المنوه عنه، وهى عبارة خطيرة وذات معان ودلالات أكثر خطورة:

لقد قال أحد شهود هذه الحرب المقدسة: «إن جامع عمر قد استوعب من الدم المحتقن فيه ما يكفى بحر متموج، وذلك مما فتكت به سيوف الجيوش الصليبية رقاب المسلمين!»

وصورة بلاغية أخرى تقول: «كانت المذابح رهيبة حيث جرت دماء المغلوبين فى شوارع المدينة حتى ارتفع مستوى الدم ووصل إلى الركب ممن سار فيها. ولما حل المساء اندفع الصليبيون يبكون من فرط الضحك! بعد أن أتوا على نبيذ المعاصر إلى كنيسة القيامة ووضعوا أكفهم الغارقة فى الدماء على جدرانها، ورددوا الصلوات»!

• • •

وحتى من بعد انتهاء زمن الحروب الصليبية، وزمن المستعمرات، فقد استمر العنف المسيحى ضد المسلمين، فى كل مكان حيث شهد العصر الحديث آلاف المذابح التى تعرض لها هؤلاء، لا لشىء إلا لأنهم مسلمون من رعايا أوروبا، وخير مثال ذلك ما حدث للمسلمين فى ألبانيا وكوسوفا والبوسنة والهرسك، وبلاد الصرب، وكذلك فى الهند.

وأما المصيبة الكبرى هو ما يتعرض له المسلمون حالياً فى فلسطين وفى أوروبا

وأمريكا. مع تجرؤ رؤساء هذه الدول فى التصريح بعدائهم السافر والسافل للإسلام والمسلمين، مما يدل دلالة كبيرة على استمرار العنف المسيحى الأوروبى وتخليه عما جاءت به تعاليم المسيح.

وربما يستمر هذا العنف فى المستقبل القريب، ولن يتوقف إلا بزيادة قوة المسلمين ووقوفهم صفاً واحداً ضد هؤلاء سواء بالكلمة الطيبة أو بالسيف أو الدبابة، تماماً مثلما يفعلون هم بالمسلمين فى الأمس واليوم وربما غداً.

وعندما يتم ذلك سوف يعود أتباع المسيح إلى رشدهم، أو إلى كتبهم المقدسة لقراءتها من جديد لاستيعاب ما جاء بها من أقوال المسيح عليه السلام عن التسامح والأخلاق الحسنة والطيبة.

الفصل الثانى

العنف المسيحى..
ضد المسيحيين أيضا!

قد يتصور البعض أن مخالفة أتباع المسيح عليه السلام لوصاياه وتعاليمه التى تم نشرها فى كل الأناجيل بالعهد الجديد، وتحولهم من التسامح والمحبة والوداعة إلى العنف، كان موجهاً فقط ضد غير أتباع هذا الدين سواء من المسلمين أو اليهود أو الوثنيين، كما سبق أن أوضحنا ذلك!، بل سوف تكتشفون كما اكتشف غيرنا من الدارسين لتاريخ الإنسانية.. أن أعنف حالات ذلك الإرهاب وهذه القسوة، قد مارسها أتباع الدين المسيحى ضد المسيحيين أنفسهم!.

وللأسف لم تخل حقبة من الزمن وفق ما شهدته من أحداث متنوعة من الهدم والتخريب والإبادة.. من ممارسات عتاة المسيحية وكبرائها سواء من الحكام أو آباء الكنائس أو الباباوات..

ومما لاحظناه فى سياق البحث عن هذه الممارسات.. أن العنف وشدته وألوانه وأنواعه.. قد مورس وبدقة مع مسيحيى الشرق سواء بسواء!، وإن كانت بعض طوائف المسيحية فى الغرب قد قاست كذلك من هذا العنف!

وهذا شيء يدعو إلى التعجب والأسف فى آن واحد.. وهو يؤكد فى الوقت نفسه، حالة الانفصام السابق الإشارة إليها بين ما جاء به المسيح عليه السلام من تعاليم طيبة وأخلاقية وما تنضح به سلوكيات أتباع هذا النبى الكريم..

هذه التعاليم التى قرأنا بعضها فى هذه الأوراق ـ والتى يحظى بالبعض الآخر كتب أظهرت هذه التعاليم من تأليف أو وضع علماء المسيحية أنفسهم ـ كثيراً ما يتشدق بها هؤلاء الأتباع، بل وكثيراً أيضا ما يعايرون بها الشعوب والأمم الأخرى

من أصحاب الديانات المغايرة للمسيحية.. على وجه الخصوص من أتباع الدين الإسلامى!

بل وكثيراً ـ ثالثا ـ مانجد أن كل مؤلفاتهم وعلى كافة المستويات تمتلأ بتلك التعليمات والوصايا، ويتشدق بها أبناؤهم وذووهم وكل عائلتهم.. حتى أننا نلاحظ أن كل أعمالهم الفنية حتى الإباحية منها كثيراً ما تمتلئ بتلك الوصايا والتعليمات السمحاء!!، من دون الدعوة للتمسك بها وتطبيقها فى الواقع!!.

وما نود أن نشير إليه فى السياق نفسه، بل ونريد أن نؤكد عليه وكما أكدنا على ذلك من قبل، أن المسيحيين فى الشرق، خاصة فى العالم العربى.. كانوا ولايزالون هم من أتباع المسيح عليه السلام من الذين ذاقوا كثيراً من ذلك العنف المسيحى، والذى عادة ما يكون مصدره الغرب المسيحى، بعدما أضيف إليهم المسيحيون فى أمريكا!!.

ورغم ظهور أصوات مسيحية عاقلة كثيرة وعلى مدى التاريخ كله، والتى وعت تلك الحقيقة التاريخية، فإن هناك قطاعًا كبيراً من أتباع المسيح عليه السلام ومن أبناء الشرق من الذين لايزالون على ولائهم وانبهارهم بما تقدمه المسيحية الغربية، المتطرفة، رغم جهلها وغبائها وغلوها وعنفها فى أحيان كثيرة!، ومما يؤكد أيضا خروجها على تعاليم المسيح نفسه، والتى يقدسها ويحبها ويعمل بها كثير من أبناء المسيحية فى الشرق.

ولاشك أن مثل هذا التعاطف كثيراً ما يذوب إذا ما تعرضت بلاد الشرق إلى هجوم من أتباع المسيحية فى الغرب.

ولقد تجلى ذلك بوضوح فى وقوف أبناء المسيحية الشرقية مع غيرهم من مواطنيهم فى الكفاح المسلح ضد حركات الاستعمار الغربى للشرق والذى بدأ مع نهاية الحرب العالمية الأولى،

بل وربما تجلى ذلك الخلاف وهذا الذوبان فى التعاطف مع المسيحيين الغربيين، من قبل تلك مقدم الحركات الاستعمارية وتحركها من معقلها هناك فى اتجاه الشرق المسيحى للاستحواذ على خيراته ومكاسبه!

مثال ذلك ما شهدته المنطقة العربية من تضافر جهود المسيحيين مع إخوانهم من سكان هذه البلاد فى أثناء الحملات الصليبية على الشرق العربى المسلم، ولا أقول جميع مسيحيى الشرق، بل أغلبهم فى واقع الأمر.

ولقد استمر هذا التيار ينمو مع الأيام والسنوات. حتى وجدنا أن هناك فئات مسيحية كثيرة ومستنيرة تقف الآن وبحزم لصد هجمات المسيحية الغربية على الشرق العربى والإسلامى، وندعو الله أن تزيد تلك الفئات التى لابد أن يكون دافعها الأساسى هو التمسك بتعاليم المسيح عليه السلام ووصاياه التى تحض على الخير والمحبة والسماحة والعفو عن كل الناس بدون تفرقة سواء دينية أو عرقية أو عنصرية!.

• • •

ولابد أن يتساءل المتابعون لنا فى هذا الحديث.. عن ماهية الصور والأساليب التى تدل على مظاهر العنف المسيحى ضد المسيحيين، كما نقول ذلك نحن!؟!

والتساؤل عن هذا الأمر مهم للغاية.. لأن بيانه والإجابة عليه سوف يؤكد وجهة نظرنا والتى نعتمد فيها أساساً على تقديم الأدلة والبراهين، وعدم الاكتفاء فقط بالرد الخطابى أو الذى لا يعتمد على تلك الأدلة!

ولقد استطعنا أن نحصر صور العنف المسيحى ضد المسيحيين فى خمسة وجوه.. هى أولاً: حالات الاضطهاد التى بدأت منذ فجر بزوغ المسيحية، والتى استمرت حتى مرور ثلاثة قرون على رحيل المسيح عليه السلام، وثانيا: محاكم التفتيش التى لم تكن تفرق أبداً بين ما هو مسيحى أو غير مسيحى!! وقد ذاقت من ويلاتها فئات مسيحية وأفراد كثيرون كانوا من أتباع الدين المسيحى.

أما ثالثاً: فقد تجلت صور ذلك العنف ضد المسيحيين فيما حدث من حالات إبادة خطيرة تعرض لها أناس كثيرون، وقد أخرجت أتباع المسيح عليه السلام من مرتكبى تلك الجرائم عن الخط الصحيح لهذا الدين السمح!

ورابعا: إشعال الحروب سواء العالمية أو الإقليمية.. وقد راح ضحيتها من

المسيحيين أضعاف غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، أما خامساً: فهو التهام مقدرات وثروات الشعوب أو التى كان غالبية الرعايا بها من المسيحيين الفقراء!، خاصة فى الشرق العربى.. وهى المعروفة باسم حركات الاستعمار!!

إننا نستطيع أن نصف الصور السابقة للعنف المسيحى ضد المسيحيين بالصور الجماعية التى كانت تشمل جموعاً كبيرة من المسيحيين داخل المجتمعات أو البلدان الأوروبية. لذلك نجد أن هناك بخلاف تلك الصور الجماعية للعقاب والعنف المسيحى صوراً أخرى فردية، وهى تعتبر من أخطر صور العنف، ذلك لأنها كانت تستهدف ما بداخل الإنسان من معتقدات مسيحية!!.

ولعلنا من خلال ما هو آت.. سوف نستعرض معاً كل أنواع وأشكال وأساليب تلك الصور، سواء الجماعية أو الفردية والتى توضح لنا بجلاء مدى ارتباط المسيحيين المتطرفين بالعنف أكثر من ارتباطهم بالسماحة والسلامة والعفو كما نادى به المسيح عليه السلام.

•• صور العنف الجماعى:

الاضطهاد الدينى:

من أولى صور العنف المسيحى ضد المسيحيين أنفسهم ما تعرض له هؤلاء الأتباع من اضطهاد دينى كبير وعظيم وقد تسبب فى مقتل العديد منهم. ولسوف نعرف بعد قليل أن أسباب ذلك الاضطهاد إنما كان مصدره ادعاءات آباء الكنيسة بأن هؤلاء كانوا من الهراطقة أو الخارجين على تعاليم الكنيسة! ونلاحظ هنا قولهم «تعاليم الكنيسة» وليست «تعاليم المسيح عليه السلام».

ومن عجيب الأمور.. أن المسيحيين الأوائل قد نالوا قدراً كبيراً من هذا الاضطهاد، على أيدى اليهود أولاً ثم الرومان ثانياً.. لذا كان من الواجب على آباء كنائسهم الذين يعرفون تلك الحقائق التاريخية ضرورة أن يكفوا عن استخدام

نفس السلاح ضد أتباعهم!! ولكنهم للأسف قد تمادوا فيه إلى درجة سجلها عليهم التاريخ فى العديد من صفحاته!

هذا الاضطهاد لم يفرق أيضا بين معتنق للمسيحية من أبناء الطوائف وأبناء الشعب، وبين رجال الكنيسة أنفسهم، إذ تعرض فريق كبير من هؤلاء إلى الاضطهاد الدينى فى معتقداتهم وعلى أيدى مسيحيين أمثالهم، لا لشىء إلا لأنهم قد خالفوهم فى تطبيق بعض أصول الشريعة!

ولقد استمر هذا الاضطهاد طويلاً كما يشهد بذلك تاريخ المسيحية سواء فى أوروبا أو فى أمريكا أو فى بعض البلدان الأخرى، كما تنوعت أشكاله وأساليبه وفق كل مرحلة تاريخية كان يحددها أصحاب هذا الاضطهاد!.

وتاريخ اضطهاد المسيحيين لبنى عقيدتهم من المسيحيين قد بدأ بعد توقف الاضطهاد الرومانى لكل المسيحيين على السواء!، وهذا أمر غريب ومثير للدهشة والسخرية.. وقد سبق لنا أن قدمنا تبريراً معقولاً لتلك البداية والتى أقدم عليها آباء الكنيسة ضد رعاياهم من المسيحيين متعللين بحجج واهية ولا تستند إلى وقائع أو أدلة!

فمنذ أن تخلى الأباطرة بعد دقلديانوس عن سياسة الاضطهاد، وصدور مراسيم التسامح فى عام ٣١١م تحررت المسيحية من قيود الاضطهاد، عندئذ تأهب بعض المسيحيين لاضطهاد خصومهم.

ويحدد لنا الدكتور توفيق الطويل هذه البدايات بعد تأهب المسيحيين ضد بعضهم البعض حيث يقول: . . «ومنذ اللحظة التى ظفرت فيها الكنيسة بسلطة مدنية فى عهد قسطنطين، دخل مبدأ الكبح العام! واستمر عشرة قرون شداد، كان فيها العقل والقلب فى الأغلال»![1].

• • •

ويحكى لنا التاريخ عن أول حالة اضطهاد فردى قاسية. وقد حدثت بسبب

(١) د. توفيق الطويل. مصدر سابق.

خلاف فى الرأى وفى العقيدة، وهى تلك التى وقعت لرجل الدين اكتانتيوس الذى تم اتهامه بأنه ينكر شخصية الروح القدس، فأدانه مجلس تولى البابا جلاسيوس رياسته!.

وكذلك امتازت الأرثوذكسية المسيحية عن غيرها وعلى حد قول الدكتور الطويل، والتى زاول أتباعها اضطهاد خصومهم من المسيحيين دون رفق أو رحمة، حتى قيل إن أكثر من ثمانين كاثوليكيا من رجال الدين المسيحى قد سجنوا فى عهد الامبراطور Valens والذى اعتنق مذهب آريوس ثم أحرقوا غدراً. وكذلك آريوس نفسه الذى أدين من قبل وأحرقت كتاباته وتحريم إقتنائها، بعد إتهامه بالإلحاد.. لأنه أنكر على غير ما جرى به العرف الكنسى ألوهية المسيح!، وزعم أنه لا يساوى الأب فى جوهره وطبيعته.

ويقول التاريخ أن الكنيسة إزاء هذا الموقف المخالف من هذا المسيحى السكندرى، قد نظمت مجمعاً حضره مائة أسقف من مصر وليبيا، فلما تمسك آريوس بآرائه أدانه ذلك المجمع مع أتباعه، كما أعلن الإسكندر وأسقف الإسكندرية هذا الحكم إلى جميع الأساقفة!.

بل وأكثر من ذلك فإنه عندما انتشر مذهب آريوس وكثر أتباعه، أمر الإمبراطور قسطنطين فى عام ٣٢٥م بعقد مجمع دينى فى «فينيقية»، ضم عدداً كبيراً من أساقفة آسيا وأوروبا وإفريقيا، وقد أدان آريوس وأمر بإحراق كتبه.. ومن رأى من الأساقفة الانتصار لمذهب آريوس أمر قسطنطين بخلعه ونفيه، كما تم إصدار القوانين التى تبيح هدم كنائسهم ومصادرة اجتماعاتهم، ونفى كهانهم وإحراق كتبهم.

• • •

ثم تطورت أساليب الاضطهاد الدينى التى مورست ضد كل من كان يخالف الكنيسة فى أوروبا حتى وصلت إلى إقرار عقوبة الإعدام.. وحتى يجدوا مبرراً للترويج لهذه العقوبة التى رأوا فيها ردعاً للمسيحيين المخالفين للكنيسة فقد أطلقوا على هؤلاء المخالفين لفظ الهراطقة وفق ما أكده الدكتور محمد عمارة بأن

الإلحاد والهرطقة والردة لم تكن تعنى إلا مخالفة التقاليد الكنسية فى أية جزئية من الجزئيات[1].

• • •

وهناك آلاف، بل وملايين من الأمثلة التى تمتلئ بها كتب التاريخ والتى تصور لنا الكثير من حالات الاضطهاد الدينى الذى تعرض له العديد من المسيحيين على أيدى المسيحيين أنفسهم، ففى فرنسا على عهد الملك «تشارلس التاسع (١٥٥٠-١٥٧٤م) ذبح الكاثوليك أكثر من عشرين ألفاً من البروتستانت، وهما مذهبان فى دين واحد. ويومئذ انهالت التهانى على الملك، وكاد البابا «جريجورى الثالث عشر» ـ (١٥٧٢ ـ ١٥٨٥م) يطير فرحاً بهذه المذابح المقدسة وضحاياها، حتى أنه أمر أن تُسك أوسمة لتخليد ذكرى هذه المجزرة وتوزع على الشعب والأعيان، ولقد رسمت صورة البابا على هذه الأوسمة وإلى جانبه صورة الملك «تشارلس التاسع» وهو يضرب أعناق الملحدين البروتستانت، وكتب على هذه الأوسمة عبارة «إعدام الملحدين».

وكذلك أمر البابا ولمزيد من الاحتفال بهذه المجازر، بضرورة إطلاق المدافع وإقامة القداس فى شتى الكنائس. كما دعا الفنانين إلى تصوير مناظر هذه المذابح على حوائط الفاتيكان.

ليس هذا فقط، بل وفى عهد الكاردينال «ريشليو» (١٥٨٥ـ١٦٤٢م) وزير الملك لويس الثالث عشر تم قتل ألف وخمسمائة مسيحى من البروتستانت!، ثم تجددت هذه المذابح فى عهد الملك لويس الرابع عشر (١٦٣٨ -١٧١٥م) ضد البروتستانت أيضا وخاصة بعد أن تزوج الملك من مربية كاثوليكية متعصبة، فسيق الكثيرون منهم إلى الإعدام، ومن نجا منهم خيرهم الملك بين الارتداد عن البروتستانتية إلى الكاثوليكية وبين الهجرة والنفى من فرنسا، فهاجر نصف عدد البروتستانت وعددهم ما يقرب من نصف مليون مسيحى إلى هولندا وإنجلترا وأمريكا.

---

(١) الإسلام والآخر ـ مصدر سابق.

ولقد أثبت العديد من الدارسين من المسيحيين أنفسهم أن هذه الإهانات.. وهذا الاضطهاد.. لم يكن إلا لمجرد الخلاف فى المذهب أو فى التفسير لبعض أحداث حياة المسيح.

ولم يتوقف هذا الاضطهاد على الغرب فقط، بل شمل كذلك مسيحيى الشرق على أيدى إخوانهم من الغربيين الذين كان همهم الأول والأخير فرض سلطانهم وسلطان عقيدتهم ضد كل المخالفين.

ومن أشهر مناطق الشرق التى عانت من الاضطهاد على أيدى مسيحيى الغرب.. كل من مصر وبلاد الشام والقدس. حيث يؤكد الدكتور توفيق الطويل.. أنه نظراً لطبيعة الغلو الواحدة فى الدين المسيحى فقد تشابهت نتائجه وآثاره مع اختلاف الحالات، ويضرب لنا عدة أمثلة على ذلك مما لاقاه المسيحيون فى مصر للأسباب ذاتها.. حيث انتشر الاضطهاد الدينى فى مصر قبل الفتح العربى وفكر هرقل بعد انتصاره على الفرس فى أن يوحد المذاهب المسيحية كلها ويجعلها فى مذهب واحد، وأقر هذا المذهب الموحد مجمع «خلقيدونة».

وتولى بطرق الدين فى الإسكندرية «قيرس» الذى أخفق فى إقناع المصريين بالمذهب الجديد، فعقد العزم على إكراههم على اعتناقه، وكان كبير أساقفة القبط فى مصر آنذاك هو «بنيامين» الذى كان موضع حب المصريين ومثار احترامهم، وكان شديد التعصب لمذهب اليعاقبة.

وعندما أخفق «قيرس» فى إقناع الأقباط المصريين بالحسنى لجأ إلى البطش والاضطهاد لمدة عشر سنوات!.

ليس هذا فقط، بل وكان أخو بنيامين ممن عذبوا كثيراً، إذا أوقدت المشاعل وسلطت نارها على جسمه فأخذ يحترق حتى سال دهنه فى جانبيه على الأرض، ولكنه مع ذلك لم يتزعزع عن إيمانه. فخلعت أسنانه ثم وضع فى كيس مملوء من الرمل وحمل فى البحر حتى صار على قيد سبع خطوات من الشاطئ، ثم عرضوا عليه الحياة إذا هو آمن بما أقره هرقل بشأن المذهب الموحد، وقد فعلوا فيه

هذا التعذيب ثلاث مرات وهو يرفض فى كل مرة، فرموا به فى البحر فمات غرقاً!.

وقد تميز «قيرس» غيظاً حين أقبل على الدير فوجده خلاء ممن فيه إلا من خازنه، ولما جلده قال له إن صمويل الزاهد قد خطب فى رهبان الدير ووصفه بالكفر وعدم الإيمان بالله حتى فر الرهبان قبل مقدمه، ولما ذهب قيرس دعا الإخوان إلى ديرهم آمنين، وأما البطريق «المقوقس» فقد مضى إلى الفيوم ودعا أتباعه وأمرهم بأن يجيئوه بذلك العابد صمويل مكتوف اليدين، وأن يضعوا فى عنقه طوقاً من حديد، وأن يدفعوا به كما يدفع اللصوص، فجاءوا به إلى الدير الذى كان فيه، وذهب إليه صمويل مستبشراً فى صحبة الله وهو يقول: «سأمنح إن شاء الله اليوم الشهادة بأن يسفك دمى فى سبيل المسيح».

وأخذ يسب المقوقس دون أن يخشى شيئاً، فلما دخل عليه، أمر المقوقس بجنده لكى يضربوه حتى سال دمه.

ويحكى لنا الدكتور محمد عمارة عن المزيد من حالات إضطهاد المسيحيين المصريين قبل حقبة دخول الإسلام لهذه البلاد فيقول: أما عن الاضطهاد الدينى الذى نزل بنصارى مصر سواء فى عهد الوثنية الرومانية أو فى عهد نصرانيتها، فلقد بلغ فى البشاعة حد التأريخ بعصر شهدائه لدى الكنيسة القبطية حتى الآن، فالإبادة التى مارسها الإمبراطور الرومانى «دقلديانوس» (٢٨٨٤-٣٥٠ق.م) جعلت عصره بالنسبة للنصرانية المصرية، عصر الشهداء. وعلى درب «دقلديانوس» الوثنى سار الإمبراطور الرومانى النصرانى «جستنيان الأول» (٥٢٧-٦٦٥م)، فقتل ٢٠٠٠ قبطى بالإسكندرية وحدها. ومن نجا من القتل يومئذ هرب إلى الصحراء، حتى لقد انسحبت النصرانية المصرية وأهلها من الحياة المدنية إلى المغارات والكهوف فى قلب الصحراء.

• • •

وقد يظن المتابع لنا فوق هذه الأوراق أن عصر الاضطهاد الدينى بالنسبة

للمسيحيين تجاه إخوانهم قد توقف عند حد بعينه أو اختفى، بل بالعكس فقد ظل قائماً وبقسوة أكثر مما كان فيما مضى.

وكل ما فى الأمر هو تغير الأوراق والقوى التى استطاعت إخفاء هذا العنف وراء ستائر كثيرة وكثيفة، ومع ذلك فإنه بين الحين والآخر كان يظهر فوق سطح الواقع من يحكى لنا عن هذا العنف وأشكاله.

وما الصراع الدائم والمستمر بين المسيحيين فى أيرلندا الشمالية إلا نموذجاً أو حالة من حالات هذا العنف المسيحى الذى يطفو فوق سطح الأحداث رغم قوة وهيمنة بريطانيا وزعمائها الذين يخفون الكثير من آفاق ذلك الصراع!

وليس هذا فقط، بل وهناك آلاف الصراعات الدينية ومظاهر الاضطهاد المنتشر الآن فى أمريكا نفسها خاصة بين أصحاب المذاهب المسيحية المختلفة والذى يبدو فوق السطح من حين إلى حين رغم قدرة وهيمنة وسطوة وسلطان الدولة فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك فى فرنسا وألمانيا وغيرهما من دول أوروبا.

محاكم التفتيش:

ونصل معا للحديث عن أبشع طريقة اخترعها المسيحيون أنفسهم لتأديب والانتقام من أبناء عقيدتهم من المسيحيين من الذين اختلفوا معهم، وقد تمثل ذلك فيما سمى تاريخياً بمحاكم التفتيش والتى حظيت بالعديد من الدراسات والمؤلفات التى ألقت عليها وعلى تاريخها وأهدافها الضوء المبهر.. رغم مرور أكثر من ألف عام تقريباً على بداية العمل بها.

ومن هذه الدراسات العربية المهمة والكتب التى صدرت حديثا عن تاريخ هذه المحاكم.. ما كتبه الدكتور رمسيس عوض. وقد تناولها من كافة الزوايا والتاريخ مؤكداً فى هذا السياق على أن محاكم التفتيش هذه لم تظهر فى أوروبا إلى حيز الوجود بين عشية وضحاها، إذ ذكر «هنرى تشارلس لى» وهو ثقة فى تاريخ محاكم التفتيش أن الكنيسة أسندت إلى الأكليروس مهمة اكتشاف المهرطقين،

وإماطة اللثام عن هرطقتهم التى بدأت فى الانتشار فى القرن الحادى عشر ثم استفحلت وتفاقمت فى القرن الثانى عشر.

وكان من أهم دوافع الإقدام على إنشاء تلك المحاكم، كما يؤكد ذلك الدكتور رمسيس عوض أن الكثيرين من رجال الكنيسة بدوا عاجزين أمام المهرطقين الذين تفوقوا عليهم فى العلم والذكاء والقدرة على النقاش والحوار.

وعندما استبدت الحيرة برجال الكنيسة لم يجدوا حلاً لهذه المشكلة غير اللجوء لما يعرف فى تاريخ القانون بالمحاكمة عن طريق وضعهم فى محنة للتأكد من براءة المتهم المخالف لتعاليم الكنيسة إذا اجتازها، أو عدم براءته إذا فشل فى اجتيازها[1].

ويعلل الدكتور رمسيس عوض سبب لجوء الكنيسة إلى هذا الأسلوب لتأديب الخارجين عليها بقوله: «لقد كان المهرطقون فى بادئ الأمر يمثلون أمام محاكم كنسية، وكانت فرصة الأقوياء والأغنياء والقادرين فى التحايل على القوانين الكنسية والإفلات من العقاب أكبر بكثير من قدرة الفقراء والضعفاء على ذلك.

ففى عام ١٢١١ وجهت تهمة الهرطقة إلى قسيس اسمه «لانجر» ولكنه امتنع عن المثول أمام المحكمة. متعللاً بخشيته من اعتداء الغوغاء عليه وحرقه لمجرد الاشتباه فى هرطقته، ثم ناشد إنوسنت بابا روما للتدخل لحمايته حتى يتمكن من الفرار إلى المقر البابوى لتطهير نفسه مما علق بها من ذنوب وآثام، فأجابه البابا إلى طلبه.

هذه الحادثة تدل على أية حال على أن الكنيسة ظلت حتى منتصف القرن الثانى عشر تقريبا عاجزة عن إحكام قبضتها على أتباعها، فضلاً عن أن قدرتها على عقاب الخارجين عليها كانت محددة!.

ويبدو أن الامبراطور شارلمان الذى تولى الحكم عام ٨٠٠م كان من أوائل المروجين لمثل هذه المحاكم.. إذ يعتبر من أوائل الحكام المسيحيين الذين ساهموا كثيراً فى عقاب المسيحيين الخارجين على الكنيسة وتعاليمها، بدليل أنه أسند إلى

(١) محاكم التفتيش ـ مصدر سابق.

بعض موظفى إمبراطوريته المترامية الأطراف مهمة التجول فى شتى أنحائها بهدف اكتشاف أعداء الله من المهرطقين والخارجين على أعراف الكنيسة وتقاليدها!

وليس معلوما بالضبط تاريخ تكوين أول محكمة تفتيش مسيحية لعقاب الخارجين على تعاليم الكنيسة. لكن الشىء المؤكد أن الكنيسة على حد قول الدكتور توفيق الطويل قد عهدت فى عام ١١٢٣م إلى آباء الدومنيكان بأداء هذا الواجب الدينى الجليل، لذلك أنشأ البابا جريجورى التاسع فى عهد لويس التاسع ملك فرنسا محكمة التفتيش أو ديوان التحقيق، وقد مكن لهذا النظام أمر بابوى أصدره إنوسنت الرابع عام ١٢٥٢م، وضبط به نظام الاضطهاد كجزء رئيسى من الكيان الاجتماعى لكل مدينة أو دولة.

ويعلق الدكتور الطويل على هذه الإجراءات بقوله: «وكانت هذه أبشع أداة لكبح التفكير النزيه والضمير الحر، ولم يعهد التاريخ لها نظيراً».

وقد اختير الرهبان ووكل إليهم السعى باسم البابا لاكتشاف الملحدين، وكانوا بحكم عضويتهم فى ديوان التحقيق، من أصحاب النفوذ بحيث لا يخضعون لرقابة أحد ولا يسألون عما يفعلون، وبالتالى راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء لمجرد مخالفتهم لأحد تعاليم الكنيسة!!.

ويكفى أن نضرب هنا عدة أمثلة للأعداد التى ذهبت أرواحها هباء، لمجرد المخالفة فى الرأى أو فى بعض تفاصيل العقيدة، وذلك فى العديد من الدول الأوروبية المسيحية.

ففى أسبانيا بلغ عدد ضحايا هذه المحاكم ٣١ ألف مسيحى أحرقوا بالنار، و ٢٩٠ ألفا آخرين عذبوا بعقوبات لم تبلغ حد الإعدام!. وذلك غير ضحايا هذه المحاكم الأسبانية فى المستعمرات فى أمريكا الجنوبية وفى قرطاجنة وجزء من الهند وصقلية ومالطة.

أما فى بلاد الأراضى الواطئة (هولندا)، فقد بلغ تعداد ضحايا محاكم التفتيش من المسيحيين وحدهم فى عهد الملك تشارلس الخامس مائة ألف ضحية!.

وفى عهد ابنه بلغ عدد الضحايا ٥٠ ألفاً!، وفى فرنسا على عهد الملك تشارلس التاسع (١٥٥٠ -١٥٧٤م) ذبح الكاثوليك أكثر من عشرين ألفا من البروتستانت، وهما على حد قول الدكتور عمارة مذهبان فى دين واحد!

الحروب:

رغم أن الحروب قد ارتبطت كما يؤكد ذلك التاريخ بمسيرة الإنسان منذ تواجده فوق سطح هذه الأرض، ولأغراض متعددة، إلا أننا وغيرنا قد اكتشفنا أن أوروبا المسيحية سواء فى العصر القديم أو الوسيط أو حتى فى الحديث كانت تقف وراء إشعال معظم حالات الحروب سواء الإقليمية أو الدولية، وأيضا لأهداف متعددة، كان أحدها بل وأهمها تلك الأهداف الدينية، سواء من أجل نشر الدين المسيحى فى البلاد التى لم يدخلها هذا الدين أو لتصفية حسابات عقائدية بين معتنقى هذا الدين لاختلافات فى التفسير..

وعادة ما كان فريق كبير من المسيحيين يروحون ضحايا لهذا العنف الناتج عن تلك الحروب!.

ليس هذا فقط.. بل وكانت تلك الحروب هى وسيلة معظم الدول الأوروبية - وكما سوف يمر علينا حالاً، حتى أيام الإمبراطورية الرومانية أو البيزنطية - لأجل التوسع واحتلال الشعوب الأخرى بحجة نشر هذا الدين..

ويااليت هذا الأمر قد توقف عند حدود القارة الأوروبية فقط، بل امتدت تلك الحروب إلى مناطق كثيرة شملت العديد من العالم المسيحى سواء فى المشرق أو فى المغرب، وكان من ضحاياها أيضا عدد كبير من المسيحيين سواء من المشاركين في تلك الحروب أو من المتأثرين بنتائجها من رعايا هذه الشعوب التى اكتوت بنارها.

وعلى أية حال فقد أظهر لنا التاريخ أن ضحايا العنف المسيحى من المسيحيين أنفسهم قد زادوا على إثر نشوب هذه الحروب والتى قسمها المؤرخون وخبراء العسكرية إلى حروب إقليمية ثم حروب عالمية ودولية.

هذا بخلاف ما ينشأ من نزاع طائفى يقترب من حافة الحرب بين أبناء الطائفة المسيحية الواحدة أو بين طائفتين مختلفتين فى المذهب.

وتاريخ المسيحية به الملايين من الأحداث التى وقعت خلال القرون الماضية ومنذ انتشار هذا الدين بسبب هذه الحروب التى أطلقوا عليها ظلماً. اسم «الحروب الدينية»!.

يأتى ذلك بطبيعة الحال خلافاً لما تشعله هذه الدول من حروب ضد أصحاب الديانات الأخرى وعلى وجه الخصوص ضد الإسلام، ويكون من ضحاياها أيضا العديد من المسيحيين من رعايا الدول التى تدين بالإسلام.

ولم يكن ذلك يمثل أية مشكلة لمسيحيى أوروبا الذين اتخذوا من العنف سبيلهم إلى الدعوة لهذا الدين ونشره بدلاً من منهج التسامح والحب والإخاء، وفق تعاليم المسيح عليه السلام.

وقد نظن أن الحروب الصليبية كانت وحدها ذلك النموذج الأمثل لمثل تلك الحروب الدينية، وقد ظلت هكذا لفترات طويلة من التاريخ حتى تجددت تلك الفكرة، سواء ضد المسيحيين أو ضد المسلمين. متمثلة فى الحروب التى أشعلها مسيحيو الغرب وزعمائهم، خاصة فى العصر الحديث. فكم شاهدنا وسمعنا عن العديد من التفاصيل الخاصة بمثل هذه الحروب سواء ما حدث فى يوغوسلافيا السابقة أو فى ألبانيا أو كوسوفا أو فى القارة الأفريقية، أو فى غيرها من مناطق العالم. وقد أصبحت تسيطر على مقدراته قوة مسيحية واحدة، فرضت هيمنتها على كل من المسلمين والمسيحيين سواء بسواء، وإن كانت بعض طوائف المسيحيين تميل بحكم الاشتراك فى الديانة اسماً فقط، مع هذا القطب الأوحد..

وفى المقابل هناك أيضا ملايين من الأصوات المسيحية العاقلة والتى تقف بحسم ضد تلك الحروب الدينية الجديدة، لأنها وفق رؤيتهم الصائبة لا تفرق أبداً بين مسيحى وغيره من أتباع الديانات الأخرى خاصة من المسلمين.

ولاشك أن استعراضنا لبعض ما جاء فى صفحات التاريخ عن أشهر الحروب

الإقليمية والعالمية سواء المدنية أو الدينية سوف يبين لنا بوضوح.. ذلك المسلك العنيف والذى اتجهت إليه تلك الديانة العظيمة.. معارضة بذلك كل التعاليم والقيم الطيبة التى نادى بها المسيح عليه السلام.

يقول التاريخ فى صفحاته المليئة بدماء هؤلاء الأبرياء.. أن أول من اخترع فكرة الحرب الدينية هم الرومان فى عام ٣٧٩م.. عندما ازدادت حدة العداءات بين هذه الامبراطورية بعد اعتناق حكامها المسيحية وبين البربر من الذين كانوا يدينون بالمسيحية الأريوسية (نسبة إلى آريوس أحد أساقفة أنطاكية)[١].

ثم توالت بعد ذلك هذه الحروب سواء ضد الشعوب التى لا تعتنق المسيحية أو الذين يعتنقون شرائع مخالفة لما جاء فى المسيحية فى ظن هؤلاء، وامتدت من العصور الوسطى وحتى عصرنا الحديث.. مع اختلاف الأشكال والأدوات والأهداف أيضا.

ونظراً لأن سجل تاريخ البشرية ملىء فعلاً بصنوف الحروب وألوانها وأشكالها وعلى مدى كل هذه القرون الطويلة، فإننا سوف نحاول أن نقترب من أشهر تلك الحروب والتى يكون هدفها الأول بطبيعة الحال تدمير وقتل وتعذيب وتشريد أكبر عدد من الناس من بينهم بطبيعة الحال عدد كبير من أتباع الدين المسيحى. ذلك لأن الحرب وكما نعرف لا تفرق أبداً بين البشر الموجهة إليهم، وكلنا يعرف كذلك أن كل شعوب العالم وفى كل القارات يسكن بها إضافة إلى المسيحيين أعداد كبيرة ممن هم على غير دين المسيح سواء من أتباع الديانات الأخرى أو حتى من الوثنيين!!..

وكما سبق أن ذكرنا فإنه بالإضافة إلى الحروب العامة التى كانت ولاتزال تشعلها الدول المسيحية فى أوروبا وأمريكا.. هناك أيضا ما يسمونه بالحروب الدينية!!

وعندما نفتح كتاب الحروب لنعرف بعض التفاصيل.. سوف نفاجأ بأن هناك ملايين المعارك العسكرية التى دارت رحاها بسبب الدين المسيحى، ولعلنا نشير إلى بعضها.. خاصة أشهرها، حيث لاحظنا فى هذا السياق.. أن أعنف تلك

(١) الحرب عبر التاريخ ـ الفيلد مارشال مونتجمرى ـ تعريب وتعليق فتحى عبد الله النمر.

المعارك كانت موجهة ضد الامبراطورية الرومانية. خاصة فى أملاكها فى أوروبا.. وهذه الحروب قد بدأت بالفعل منذ القرن الأول الميلادى ثم امتدت لأكثر من خمسمائة عام حتى سقطت روما فى أيدى «شعوب ألريك» الذين نهبوا المدينة بعد حرب طويلة. وبعد عام ٤١٠م خيم الهدوء المؤقت على تلك الحروب وأقام «الواندال» فى إفريقيا و«البورجند» فى بورجندى و«الفرنجة» فى شمال فرنسا، أما «القوط» الغربيون بعد سلبهم لإيطاليا فقد أقاموا علاقات مع الإمبراطورية الرومانية التى بدأت فى الانهيار، ثم واصلوا زحفهم وكونوا مملكة فى أسبانيا وجنوب الغال.

ثم فى منتصف القرن الخامس حدث أفظع غزو فى منطقة البحر المتوسط، عندما كون «الهون» جيشاً جراراً من الفرسان تحت قيادة «أتيلا» الذى أطلقوا عليه «سوط الله»!!.

وواصلوا غزوهم لعدة قرون واتجهوا إلى الغرب، وقد خافتهم جميع الشعوب سواء أكانوا رومانيين أو من البربر[1].

وكذلك كانت من أشهر حروب العصور الوسطى والتى استهدفت المدنيين من المسيحيين ومن غيرهم، ما قام به الملك شارلمان ملك الفرنجة فى عام ٧١٨م.. وتعتبر هذه الحروب مقدمة قوية لبداية الحروب الدينية، ولعل ذلك يبدو بوضوح فى قول معظم المؤرخين: «عند دراسة النهضة العسكرية فى عصر شارلمان، يصعب تحديد الأهداف الرئيسية لذلك. ولكننا نستطيع أن نلمس بوضوح بعض العوامل الملموسة لها.. من ذلك: خوفه من الفوضى والخطر اللذين كانا يهددان مملكته، لأن جيرانه المعادين له لا يستجيبون إلا بالقوة، علاوة على حبه لنشوة النصر والنجاح، زد على ذلك أنه كان يعتبر نفسه حاكماً على مستوى عالمى وشريكاً للبابا.. ذلك الوحى الذى أرسله الله إلى الأرض للفصل فى الأمور الدنيوية!. فكان له مبشرون يسيرون بين صفوف جيشه، وهم يؤمنون إيماناً راسخاً بأنهم يمثلون قوات الصدمة النفسية.

---

(١) المصدر السابق.

وكان شارلمان يعتمد عليهم ويعتبرهم من القوات الرئيسية عند غزوه لشعب يعتقد أنه وثنى ولإجبارهم على اعتناق المسيحية!.

وبناء على ذلك قام الملك شارلمان بحملات عسكرية متعددة ما بين أعوام ٧٦٨ وضمت ٨١٤ قتيلاً فيها اللومبارد والسكسون والأسبان والمسلمون والعرب ومقاطعات جنوب إيطاليا البيزنطية وبريتانى، وفى النهاية زادت رقعة إمبراطوريتة حتى ضمت المناطق التى تمثل حاليا كلا من فرنسا وبلجيكا وهولندا وسويسرا وألمانيا ومعظم إيطاليا وشمال أسبانيا.

ويؤكد المؤرخ والقائد العسكرى المارشال مونتجمرى، أنه فى فترة العصور الوسطى فى أوروبا ظهرت قوة عسكرية كبيرة وجديدة ممثلة فى النورمانديين الذين وهبتهم فرنسا عام ٩١١م دوقة نورماندى للدفاع من خلالها عن أوروبا ضد الفايكنج، وقد استخدم النورمانديون أسلوب القتال المتبع فى فرنسا بعد تطويره حيث أصبحوا من أعظم الشعوب فى الفروسية والتحصينات الاستراتيجية. ومع ذلك فقد ارتكبوا مذابح كثيرة ضد المسيحيين خاصة فى إيطاليا.. عندما زحف جيشهم بقيادة زعيمهم جسكارد عام ١٠٥٣م.. على جنوب إيطاليا، فتصدى له الجيش البابوى الذى هُزم بقوة، ولم يستطع النورمانديون استغلال ذلك النصر، إذ عرض هذا الزعيم الطاعة والولاء للبابا فى مقابل تنصيبه ملكاً على جنوب إيطاليا!.

وخلال فترة الصراع على التنصيب قام الملك هنرى الرابع فى عام ١٠٨٤ بالاستيلاء على مقاليد الأمور فى روما والزج بالبابا جريجورى الرابع فى السجن بقلعة سانت أنجلو، فى ذلك الوقت طلب البابا من زعيم النورمانديين القيام بتخليصه وطرد الألمان، وعلى الفور تقدم جسكارد بجيشه نحو روما وطرد الألمان شمالاً وأطلق سراح البابا، إلا أن روما عانت فى ذلك الوقت على أيدى النورمانديين وقواتهم الأهوال والمذابح والنهب تفوق ما قبلها.

وللأسف، فقد اكتشفنا أن تاريخ أوروبا فى كل العصور الوسطى تقريبا كان يقوم فى معظمه على السلب والنهب وغزو الشعوب الآمنة والتى كانت تدين أغلبها بالمسيحية!!

• • •

وحتى لو تركنا العصور الوسطى بما كان فيها من أهوال نتجت عن تلك الحروب، وتطلعنا إلى العصر الحديث سوف نجد كماً كبيراً من تلك الحروب التى أشعلها الغرب سواء ضد الدول المسيحية أو ضد الدول الأخرى، وكلها وكما سوف نعرف كانت تصب فى نهر المصالح الخاصة، وقد راح ضحيتها ملايين البشر، وكان منهم بطبيعة الحال المؤمنون بالمسيحية مثلهم، مما يؤكد استمرار ارتباط المسيحية بالعنف، ليس ضد شعوب الأرض خاصة، بل وضد الشعوب المسيحية ورعايا ذلك الدين بشكل عام.

وهناك عشرات الكتب التاريخية التى تحدثت عن الحروب الأوروبية مع مطلع العصر الحديث، خاصة مع بدايات القرن الثامن عشر.. والتى نشبت اعتماداً على مبدأ التنافس بين الامبراطورية الفرنسية والبريطانية فى المجال البحرى والاقتصادى.

ويرى المارشال مونتجمرى، أحد قادة الحرب العالمية الثانية أن لهذه الحروب التى اجتاحت أوروبا مع مطلع العصر الحديث عدة مظاهر سياسية.. صبت جميعها فى نهر التنافس الاستعمارى بين كل من بريطانيا وفرنسا!، وكان ذلك إيذانا بحلول عصر الحروب العالمية!!.

ويرى المؤرخون أن من أشهر الحروب الأوروبية فى العصر الحديث والتى نشبت بين هاتين الدولتين هى حرب السنوات السبع والتى بدأت فى عام ١٧٥٦، وقد مثلت بالنسبة لانجلترا أسوأ الكوارث خاصة فى الأحداث الأولى لتلك الحرب حيث امتدت ميادينها خارج أوروبا إلى أمريكا الشمالية وكندا.. وقد استخدم فيها الطرفان، المتحاربان الأسلحة النارية مثل المدافع والرشاشات

والبنادق، كبداية أيضا لدخول عصر حروب الأسلحة غير التقليدية والتى كانت معروفة من قبل وفى العصور الوسطى؛ مما أدى إلى زيادة عدد الضحايا، وكثرة حالات الإبادة والتشريد والتدمير!!

وهناك آلاف الكتب التى صدرت بمختلف اللغات عن أهم الحروب العالمية التى أشعلتها أوروبا المسيحية، وفى مقدمة تلك الحروب: الحرب العالمية الأولى ثم الثانية، إضافة إلى بعض الحروب الإقليمية التى كانت نتاجاً للأسس التى تم وضعها دولياً بعد هاتين الحربين، وقد عانت منها أيضا كل شعوب الأرض، وعلى مختلف أجناسها ومعتقداتها الدينية.

ويؤكد المارشال مونتجمرى كأحد خبراء العسكرية الدولية أن السنوات التى وقعت ما بين عامى ١٨٧٠ و١٩١٤ كانت سنوات ما يسمى «بالسلام المسلح» فى أوربا.. وهى سنوات وقعت فيها حروب صغيرة ومتعددة وفى أماكن متفرقة فى أنحاء العالم، وكان الثمن غاليا حيث زهقت فيها أرواح الرجال، وكان للتطور التكنولوجى العسكرى دوره الكبير فى زيادة أعداد هؤلاء الضحايا..

ولقد ظل أمر هذه الحروب يتطور حتى حان وقت نشوب أول حرب عالمية فى الفترة من ١٩١٤ -١٩١٨، وكانت بحق على حد قول هذا القائد العسكرى الكبير من أدمى الحروب فى التاريخ. كما كانت النتائج المؤثرة فيها متمثلة فى الخسائر الفادحة والتى أثرت على تفكير العسكريين بعمق، إذ لم يتوافر لعدد كبير من القتلى الأوروبيين المسيحيين أى قبور.. لأن نيران المدفعية نسفتهم وحولتهم إلى أشلاء صغيرة، وفى بعض الأحيان تكون جزءاً من الخنادق، وكانت فى النهاية تلتهم الفئران هذه الجثث[1].

وكذلك يؤكد هذا القائد العسكرى المحنك أن لوحة هذه الحرب كئيبة لأنها لا تحتوى إلا على نقاط لامعة قليلة جداً.. وقد اشترك فيها جنبا إلى جنب شباب صغير يافع، لا يعرف لماذا يقاتل، وعلى الرغم من ذلك فقد ضحوا بأرواحهم

(١) المصدر السابق.

لأن زعماءهم السياسيين فى أوروبا أفهموهم بأنها ستكون «حرب لإنهاء الحرب»!!.

ومن يقرأ بإمعان تفاصيل أخرى لهذه الحرب يشعر بالمرارة والسخرية فى آن واحد.. إذ لعبت الأهواء الشخصية للحكام دوراً كبيراً فى إشعال نيرانها!!.

ولعل ذلك يبدو بوضوح فيما ذكره المؤرخ «هربرت فيشر» أحد أعلام المؤرخين فى العصر الحديث عندما قال فى تعليقه على أسباب قيام تلك الحرب: «لم تكن هناك مملكة أوروبية واحدة وضعت سياستها على أسس من السلم، بل جاشت فى كل وزارة خارجية أحلام كانت تصبو إلى تحقيقها عن طريق القتال، فقد كانت فرنسا ترنو بأبصارها إلى إعادة الإلزاس واللورين إلى أحضانها، ورغبت ألمانيا فى امتلاك مستعمرات أكثر، والسيطرة على الشرق الأدنى. ورامت النمسا إذلال صربيا، وانتزاع ثغرسالونيك من اليونان. وابتغت روسيا امتلاك مضيق البسفور والدردنيل. ونصبت صربيا شباكها لامتلاك البوسنة والهرسك، وطمعت إيطاليا فى ضم نريستا والترنيتو إليها، ورومانيا فى تملك ترنسلفانيا. بعد سلبها إياها من هنغاريا أو تملك بساربيا بعد انتزاعها من روسيا»[1].

• • •

وبالمثل كانت الحرب العالمية الثانية التى كانت أيضا على حد قول المؤرخ الكبير «هربرت فيشر» أحد نتائج التسويات العامة التى أبرمت بين دول الحلفاء وأعدائها عقب نهاية هذه الحرب، إذ كان كثير من بقاع العالم فى الفترة من (١٩١٩-١٩٣٩) يغلى فى مراجل من الحسد والقلق والبغضاء والاضطرابات الناجمة عن المعاهدات الدولية التى أبرمت بعد نهاية الحرب الأولى، مما أدى إلى ظهور عنصر القوة باعتبارها الفيصل الأكبر فى تسوية المنازعات الدولية، الأمر الذى استوجب زيادة التسلح لدى الدول الأوربية بشكل لم يسبق له مثيل!

ويضرب لنا هربرت فيشر مثالين على ذلك بحديثه عن غزو اليابان الأراضى

(١) تاريخ أوروبا فى العصر الحديث ـ هـ. أ. ل فشر ـ تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع.

الصينية عام ١٩٣٢ . . وإقدام ديكتاتور إيطاليا موسولينى فى عام ١٩٣٣ بابتلاع الحبشة!

وكان لهاتين الحادثتين تأثير كبير على البداية الساخنة لنشوب الحرب العالمية الثانية، وذلك عندما شق الجيش الألمانى فى أوائل سبتمبر من عام ١٩٣٩ طريقه عبر بولندا . . عندئذ بدأت أعظم حرب دموية فى تاريخ العالم وأكثرها نفقة وأوسعها نطاقاً . . وأشدها تدميراً، ذلك لأنه إذا كانت الحرب الأولى مقصورة على قارة أوروبا، فإن الحرب الثانية قد شملت كل القارات فيما عدا أمريكا الجنوبية.

وقد أكرهت الدول جميعاً على دخولها حتى التى لم تشترك فيها بالفعل، هذا الإكراه جعلها تتحمل بدرجة كبيرة أو صغيرة آلامها وأن تكتوى بنارها وويلاتها وأن تشعر بكوارثها وفواجعها[١].

وهناك من المؤرخين الذين يرون أن المؤشر الحقيقى لاشتعال الحرب العالمية الثانية قد تمثل فى أحداث الحرب الأهلية فى أسبانيا والتى نشبت فى الفترة من ١٩٣٦-١٩٣٩، ولم يكن الرعب والهلع والذى تميزت به هذه الحرب الأهلية إلا إشارة لما سوف يأتى بعد ذلك[٢].

ويؤكد المارشال مونتجمرى باعتباره أحد قادة هذه الحرب أن مجمل ما نتج عما ارتكبته القوات الألمانية واليابانية وحدها وصل إلى أكثر من ٤٠ مليون قتيل! وكان منهم على الأقل ١٧ إلى ١٨ مليون مدنى. هذا طبعا بخلاف ما نتج عن إسقاط القنابل الذرية على كل من ناجازاكى وهيروشيما اليابانيتين! وذلك من جانب الولايات المتحدة الأمريكية!.

الحركات الاستعمارية وإبادة الشعوب:

لقد اكتشفنا من واقع متابعة متأنية لتاريخ الشعوب . . أن هناك شبه ارتباط قوى بين الحركات الاستعمارية وبين مبدأ الإبادة الجماعية لشعوب بعينها!!، ذلك

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الحرب عبر التاريخ ـ مصدر سابق.

لأن الهدف كان واحداً فى كلتا الحالتين، ولذلك فقد آثرنا أن يشمل حديثنا عن الصور المتبقية من حالات العنف المسيحى.. هاتين الحالتين أو تلك الصورتين والمتمثلتين فى الحركات الاستعمارية والإبادة الجماعية.

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق هو أن هناك عشرات الكتب التاريخية المحايدة وغير المحايدة والتى أشارت إلى ما وقع للبشرية خاصة من أتباع المسيح عليه السلام على أيدى أبناء عقيدتهم، ليس فى حالات الإبادة أو الحركات الاستعمارية فقط ولكن كما سبق أن رأينا فقد تمثل أيضا فى أشكال الاضطهاد الدينى والحروب ومحاكم التفتيش!

ولكننا بالحديث عن هاتين الصورتين نكون قد ألقينا الأضواء المبهرة على كل ما ارتبط بالمسيحية الحديثة أو القديمة من عنف صنعه أتباعها، وهو غير موجود بالمرة فى تعاليم المسيحية الحقيقية. ولا حتى فى تعاليم المسيح عليه السلام والتى كتبها البعض بأيديهم!.

• • •

أما بالنسبة للصورة الرابعة من صور العنف المسيحى، والتى ترتبط تفاصيلها بحديث الحركات الاستعمارية التى انطلقت من أوروبا مع مطلع القرن الثامن عشر للاستيلاء على مقدرات الشعوب الأخرى الغنية سواء فى آسيا أو فى إفريقيا أو فى الأمريكتين. فقد كانت هناك دوافع كثيرة وراء حركات الاستعمار الأوروبى للعالم، وقد ذكرها العديد من المؤرخين، وكلها تصب فى نهر المصالح التجارية والاستحواذ على المصادر الطبيعية والثروات الغنية للبلاد التى حطت بها جحافل الأوروبيين آنذاك.

إضافة إلى فتح أسواق جديدة لمنتجاتهم الجديدة التى زادت عن احتياجاتهم، بعد تلك الانطلاقة الكبيرة للثورة الصناعية، وكذلك حاجة هذه الدول إلى المواد الخام التى تمتلكها البلدان الأخرى.

وكانت زعامة قصب السباق فى تلك الحركات، لكل من إنجلترا وفرنسا

باعتبارهما كانتا آنذاك أكبر دولتين أوروبيتين مسيحيتين تجاريتين وقد استهدفتا معظم البلدان التى احتلتاها بالقوة.

فقد عقدوا الاتفاقات السرية والعلنية، لابتلاع ثروات تلك البلاد، خاصة من التى كانت خاضعة آنذاك تحت حكم الامبراطورية العثمانية الإسلامية، سواء فى أوروبا أو آسيا أو إفريقيا، مما نتج عنه سيطرة الدول الاستعمارية الأوروبية على مقدرات معظم شعوب الكرة الأرضية، خاصة فى القارات القديمة..

ولقد استمر هذا البلاء لأكثر من مائتى عام !!. حيث عانى خلالها سكان تلك المستعمرات الكثير من التخريب الفكرى والوطنى، إضافة إلى النهب والسلب سواء ضد المسلمين أو المسيحيين، أو ضد غيرهم من أصحاب الملل والنحل الأخرى!.

ويذكر المؤرخون فى هذا السياق، أنه كان لتقدم البحرية فى أوروبا وتطورها الكبير منذ اكتشاف الأمريكتين، المساهمة الكبرى فى حسم العديد من النزاعات الاستعمارية بين تلك الدول!.

• • •

ولم تتوقف غايات وأهداف تلك الحركات الاستعمارية الأوروبية عند حد الاستيلاء على خيرات هذه المستعمرات. بل تعدى ذلك إلى آفاق كثيرة حيث اقترب من حافة التآمر على سكانها أملاً فى إبادتهم واستبدالهم بآخرين!!. ولا شك يدخل فى نطاق تلك الأهداف أيضا. العمل على تغيير بل وطمس هوية أبناء هذه المستعمرات. والمعروف أن هناك بلدانًا عربية كثيرة قد عانت من ذلك كثيرًا مثل مصر والجزائر وسوريا ولبنان وليبيا. ليس هذا فقط بل لقد استهدفت أيضا طمس الهوية العربية والإسلامية، بل والمسيحية أيضا، فى كل نواحى الحياة، خاصة فى اللغة والدين. وقد لاقت هذه المحاولات استنكارا كبيراً من طوائف عديدة من المسيحيين الشرقيين من الذين رأوا فى الأهداف الأوروبية

نوعاً من الإبادة لهم، مع استبدالهم بغيرهم من الأوروبيين ومن الذين يدينون بمعتقدات الكنيسة الأوروبية المتطرفة.

• • •

وكان هناك بخلاف ذلك وجه آخر أكثر قسوة مما سبق فيما يتعلق بحالات الإبادة الجماعية، والتى طالت المسيحيين الشرقيين، أيضا وغيرهم. هذه المحاولات تمثلت بقوة فيما وقع لشعوب إفريقيا السوداء. من الذين تعرضوا للإبادة والعبودية فيما تمثل فى نقل الملايين منهم إلى المستعمرات الجديدة فى أمريكا الشمالية والجنوبية. ثم استبدالهم بالرجل الأبيض الذى احتل بلادهم واستحوذ على خيراتها.

ولاشك كان هناك الآلاف أيضا من هؤلاء الزنوج من الذين كانوا يدينون بالمسيحية وقد راحوا وعائلاتهم ضحايا لتلك الهجمات الاستعمارية الشرسة والتى استهدفت ليس نقلهم فقط بل والقضاء عليهم كى يحلوا الجنس الأوروبى محلهم حيث كانوا يقيمون ومازالت هناك دول إفريقية عديدة تعانى من سيطرة الرجل الأبيض!

وإذا ما تركنا قارة إفريقيا لننظر بعيداً حيث العالم الجديد والذى تم اكتشافه فى الأمريكتين فسوف نعثر على آلاف بل وملايين المذابح، التى دبرت للهنود الحمر هناك. مما أسفر فعلاً عن إبادتهم بل واستئصالهم جميعاً. وقد خلت للأوروبيين تلك البلاد الجديدة بعد القضاء على أصحابها!.

ويقال فى هذا السياق أن عدد الذين أبيدوا من الهنود الحمر على يد المسيحية الغربية وصل لأكثر من أربعة ملايين هندى!، هذا بخلاف ما تعرض له الزنوج الأفارقة هناك من الذين كانوا يثورون دائما على أوضاعهم.

• • •

وبشكل عام نستطيع القول: بأن أتباع المسيحية خاصة من الأوربيين المتطرفين قد انقلبوا فعلاً إلى وحوش كاسرة، أخذت تلتهم كل من يقف فى طريقها لأجل الاستحواذ على العالم سواء الجديد أو القديم!، واستنزاف خيراته، بلا تفرقة

حقيقية بين ما هو مسيحى أو غير مسيحى. وهذا ما نريد توضيحه للمرة المليون!، من أجل بيان كيفية انقلاب تعاليم المسيح عليه السلام، إلى التناقض، عندما تحولت على أيدى أتباعه إلى مجرد كلمات جوفاء يرددونها وقتما يشاءون، وفقط للدفاع عما اقترفته أيديهم من جرائم عنف، ولازالت الدماء البريئة تنزف بها من بين أصابعهم.

• • •

وسيراً على هذا النهج الملعون. ومن بعد نجاح القوى الوطنية فى التخلص من زعماء تلك الوحوش الاستعمارية الكاسرة. استدارت أوروبا فى العصر الحديث، ومن خلفها الولايات المتحدة الأمريكية، لممارسة ألوان جديدة من الإبادة، خاصة باللجوء إلى نتائج العلم الحديث، إضافة إلى ما تستخدمه فى مجال الأسلحة النووية المرعبة!!.

الفصل الثالث

ملامح التعاون بين الإرهاب اليهودى.. والتطرف المسيحى

هناك اعتقاد مايزال سائداً إلى اليوم خاصة لدى معظم الدارسين وبعض المؤرخين.. بأن التحالف اليهودى المسيحى، ضد ما هو مخالف لهما سواء فى العقيدة أو فى الأفكار والمصالح، إنما قد بدأ مع مطلع العصر الحديث!.

هذا الاعتقاد فى تصورنا الشخصى فيه جانب كبير من القصور.. ذلك لأننا نعتقد بأن التحالف بين الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى المتطرف قد بدأ منذ اعتراف الدولة الرومانية بعد ظهور المسيح عليه السلام بأكثر من ثلثمائة عام بالمسيحية كدين رسمى للدولة. وذلك بعد معاناة واضطهاد دام كل هذه السنوات الطويلة.. وراح ضحيته كما عرفنا من قبل الآلاف من أتباع الديانة المسيحية.

هذا التحالف الذى بدا على استحياء خلال هذه الفترة المبكرة خاصة من جانب بنى إسرائيل، قد ازداد مع مرور السنين.. وبعد إحساس اليهود بأن هذا الدين الجديد قد فرض نفسه عليهم وعلى الآخرين من بعد دخوله إلى نفق السياسة واعتراف أباطرة الرومان به كدين رسمى لدولتهم العظمى.

وكما مر علينا من قبل فقد قاسى الدين المسيحى وأتباعه اضطهاداً دينيًا عظيمًا على أيدى اليهود، خاصة ارتكابهم جريمة القبض على المسيح عليه السلام تمهيداً لمحاكمته وصلبه!

هذا الاضطهاد الذى استمر لسنوات طويلة، مما أجبر الآلاف من أتباع هذا الدين الجديد لمهادنة بنى إسرائيل، ثم البحث عن وسائل للتحالف معهم، برغم مقاومة الوثنيين أو الذين لا يؤمنون بالأديان!!

وقد انقلب حال هذا التحالف.. إذ أخذ اليهود يسعون بكل ما لديهم من وسائل لزيادة فاعلية تحالفاتهم على الأقل من جانبهم لتحفيز الجانب المسيحى على زيادته من جانبهم هم أيضا.

وليست هناك شواهد تثبت على سبيل اليقين استمرار ذلك التحالف خلال العصور الوسطى، وهى العصور التى اختفى فيها اليهود تماماً من العالم المسيحى، وفضلوا العيش فى عزلة مع أنفسهم وفى مجتمعات مغلقة خاصة بهم بحجة الحفاظ على نقاء الدين اليهودى وإبعاد الآخرين من الدخول فيه والإيمان بما جاء به!!.

ومن جانب آخر كانت هناك وفى الفترة نفسها خاصة لدى أتباع المسيح عليه السلام مشاكل متعددة، مما أدى إلى تخفيف حدة ذلك التحالف، بل واختفائه لسنوات، وكانت فرصة اليهود كبيرة خلال فترة انعزالهم الإرادى.. لأجل دراسة كيفية إحياء تحالفهم مع النصارى واستغلاله لصالحهم، خاصة أنهم قد نجحوا منذ البداية فى إحداث وقيعة كبيرة بين هؤلاء المسيحيين الأوائل وبين المسلمين، وحتى لا يجتمعوا ضدهم.. باعتبار أن المسيحيين هم أقرب الناس إلى المسلمين.. مصداقا لقول الله تعالى: **﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود.. والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾** صدق الله العظيم.

ولما نجحوا فى تحقيق ذلك الهدف جزئياً.. سارعوا لإتمامه كلية، وقد ساعدتهم الظروف على ذلك..

ورويداً.. رويداً.. وكما سوف نعرف بعد ذلك.. استطاع اليهود إتمام هذا التحالف وبقوة خاصة ضد المسلمين، بعدما انساق وراءهم المسيحيون الغربيون المتطرفون بلا أدنى تفكير أو روية. وقد أفهموهم بأن ذلك التحالف يجب أن

يكون مع اليهود وليس مع المسلمين.. لأن فيه الفائدة الكبيرة لتحقيق مصالحهم قبل مصالح اليهود أنفسهم!!!.

والحق.. فإن بنى إسرائيل، قد بذلوا كل جهدهم لأجل إثبات أهمية ذلك التحالف مع المسيحيين بتحقيق نتائج إيجابية ظهرت بعضها فى العصور الوسطى، خاصة عندما ساهموا فى إشعال الحروب الصليبية وأفهموا المسيحيين الغربيين بأنها ستكون بدايات طيبة فى طريق الانتقام من المسلمين الذين لم يرتكبوا ذنباً يعاقبون عليه!!

ولما نجحوا فى إشعال تلك الحروب، وإجبار الأوروبيين على المشاركة فيها بحجة حماية قبر المسيح وأرضه وتخليصها من أيدى المسلمين.. ظهرت فى الأفق تحالفات أخرى أكثر قوة وأكبر نفعاً.. وقد تولت الصهيونية العالمية إكمال ذلك المشوار، الأمر الذى جعل من كل الدول الأوروبية المسيحية تقع تحت سيطرة الإرهاب الصهيونى، ولم يكن لهذا الإرهاب أن ينجح إلا بإتمام ذلك التحالف مع الجانب المظلم فى المسيحية.. عندما فرض العنف رأيه بالقوة على عقيدة هؤلاء المتطرفين الذين مشوا فى ركاب الصهيونية اليهودية.. والذين آمنوا بأن.. الإرهاب لا يتحالف إلا مع العنف.

وإذا كنا من قبل قد ألقينا باللوم الشديد على اليهود فى سعيهم لإتمام ذلك التحالف الشيطانى.. فلا يجب أن نهمل أبداً آراء ومواقف معتنقى المسيحية المتطرفة فى الغرب من الذين تلاقت أهدافهم مع أهداف بنى إسرائيل سواء أكانت سياسية أم اقتصادية، ومن قبل كانت عقائدية. وذلك لتحقيق أكبر قدر من المكاسب، ليس على حساب المسلمين فقط بل وعلى حساب كل شعوب العالم المغلوبة على أمرها!!

هؤلاء الذين يعتنقون ما يسمى الآن بالأصولية المسيحية، ويؤمنون فى الوقت نفسه بالصلة المؤكدة وغير القابلة للانفراط بين المسيحية واليهودية.. باعتبار أن المسيح كان فى الأصل من بنى إسرائيل، وأن أتباعه كانوا فى الأصل من اليهود، وبالتالى فإن التعاون والتحالف مع اليهود، سوف يكون أكثر نفعاً من التحالف مع غيرهم.

وللأسف فقد وجد هذا التيار الأصولى المتطرف رواجاً كبيراً وواسعاً خاصة مع مطلع العصر الحديث، عندما تلاقت المصالح الاقتصادية والسياسية، والتى فرضت نفسها بقوة متخطية بذلك مفهوم العقيدة الدينية التى كانت فى الأصل على وشك الاندثار!

ولقد حاولنا من قبل أن نثبت ذلك عملياً بالأدلة والبراهين. وقدمنا كل ما يساهم فى بيان ذلك، خاصة بعدما اقتربت المسيحية من حافة العنف وابتعدت عن السماحة والطيبة والحكمة والموعظة الحسنة التى أخذ ينادى بها المسيح عليه السلام طويلاً ومن قبل أن يرفعه ربه إلى السماء.

وكذلك نستطيع أن نقول فى هذا السياق .. أن أزهى عصور التحالف الشيطانى بين الإرهاب اليهودى والعنف والتطرف المسيحى قد ظهر بقوة غير مسبوقة مع بدايات الحرب العالمية الأولى. عندما فرض اليهود أنفسهم من خلال ما يملكونه من أموال ومؤسسات اقتصادية ضخمة، إضافة إلى الدور الذى لعبته الصهيونية العالمية وقوتها فى إتمام ذلك التحالف ومباركته!!.

• • •

والسؤال الذى يفرض نفسه فى سياق هذا الحديث لابد أن يكون عن أهم النتائج والأهداف الملموسة والتى ترتبت بقوة على عقد ذلك التحالف غير الدستورى أو القانونى؟!

والإجابة على السؤال ذاته، كانت تحتم علينا ضرورة تتبع تاريخ العلاقات الإنسانية والثقافية بين الإسلام وبين المسيحية، خاصة بعد القرن العاشر الميلادى، وبعد نجاح اليهود فى التأثير سلبا على هذه العلاقات، مما أدى إلى إنعاش هذا التحالف.

فمن خلال هذا التتبع التاريخى المقصود استطعنا أن نرصد خمس نتائج على جانب كبير من الأهمية، حققها هذا التحالف تحت أسماع وأبصار قطاع عريض من المسلمين وفى كل مكان!..

ولسوف نسوقها أولاً على سبيل الإجمال.. ثم نفسح المجال لمناقشتها تفصيلاً على أمل الوقوف على أبعادها.. إما للرد عليها وأخذ الحيطة والحذر من قبل

استفحالها وإما لدراستها دراسة جدية.. حتى تكون ماثلة أمام أعيننا جيلاً بعد جيل.

والأهداف أو النتائج التى استطعنا رصدها والتى سوف نسوقها أولا بإيجاز هى:

- محاربة دين الإسلام.
- نهب ثروات البلاد الإسلامية.
- تفكيك العالم الإسلامى.
- إقامة إسرائيل الكبرى.
- العالم تحت راية الصليب!.

• • •

ولاشك أن الوقوف على التفاصيل التى نقصدها من وراء بيان هذه الأهداف أو تلك النتائج إنما يؤكد بالدلائل القاطعة ضلوع التحالف اليهودى والمتمثل فى الإرهاب إلى جانب العنف والتطرف المسيحى فى محاولات للقضاء على الإسلام ديناً وشريعة وثروات سواء طبيعية أو بشرية.

وكما يؤكد فى الوقت نفسه ذلك الانحراف الشائن الذى انزلق إليه المتطرفون من أتباع المسيح عليه السلام. سعيا وراء أوهام شيطانية صورها لهم اليهود.. لا لشىء إلا تحقيقاً لمصالحهم الخاصة، والتى سوف تتم رغم أنف الجميع، وهى مصالح منصوص عليها فى كتب اليهود المقدسة وغير المقدسة، بل وتسعى إلى تحقيقها الصهيونية العالمية سواء بالقوة أو بالمفاوضات المشروعة وغير المشروعة. والتى وجدت مبتغاها.. فى تلك الرغبة الأوروبية المحمومة لمحاربة الإسلام والمسلمين، نشراً للمسيحية على حد زعمهم.

وحتى المسيحية التى يروجون أنها تدفعهم إلى ذلك. تتبرأ منهم ولا تنص على ذلك أو تشجعه!، ولسنا فى حاجة إلى التأكيد على ضرورة الإنصات لمناقشتنا لتلك الأهداف.. على أمل أن تجد اهتماماً كبيراً من جانب الدارسين المسلمين

وذلك للعمل على تصحيحها أو مقاومتها.. بالموعظة الحسنة. أو بالسيف إذا لزم الأمر وأصر الآخرون على رفض اللجوء إلى الحوار!.

•• محاربة دين الإسلام:

لسنا فى حاجة إلى التأكيد على حقيقة تاريخية على جانب كبير من الأهمية ومعروفة لدى الكثيرين.. ومؤداها أن بنى إسرائيل ومنذ أقدم العصور.. يقفون فى طابور أعداء البشر.. إضافة إلى أنهم من أكثر أصحاب الديانات معاداة للدين الإسلامى.. بل ومعاداة لكل الأديان والشرائع السماوية.

ولقد بدأ هذا العداء وبقوة منذ مطلع نور هذا الدين الحنيف على أرض الحجاز فى القرن السادس الميلادى، إذ ظهرت ملامح الإرهاب اليهودى ضد هذاالدين وضد أتباعه، بل وضد نبيه الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، منذ أن كانوا يعيشون معا فى أرض الجزيرة العربية سواء فى المدينة أو فى غيرها من المدن الإسلامية آنذاك.

وسبب ذلك العداء واضح ومعروف.. إذ فضحهم القرآن الكريم وفضح محاولاتهم المتكررة لتزوير وتحريف التوراة وإيذائهم لنبيهم موسى عليه السلام.

بل وإقبالهم على اتخاذ نفس الخطوة لتحريف الإنجيل والعمل على إبعاد أهل ذلك الدين الحنيف وإنحرافهم بشريعة السماء من خط التوحيد إلى طريق الشرك!

ولما عرف الناس جميعهم بإرهاب اليهود خاصة فيما يتصل بالديانات والشرائع الوحدانية. خاصة مما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.. زاد عداء اليهود لهذا الدين ولكل أتباعه!..

ولقد بدأوا مشوار عدائهم هذا بمحاربة النبى الكريم وأصحابه ثم بمحاولات تشويه ذلك الدين القيم، والتحالف مع الكفار لصالح ضرب أتباع دين الإسلام.

ولما فشلت كل تلك المحاولات فكروا فى التخلص من رسول الله ﷺ بقتله

مسموماً أو مذموماً، مثلما حاولوا ذلك من قبل مع نبى الله عيسى عليه السلام.

ثم جاءت أوامر السماء بالبدء فى معاقبة هؤلاء المذنبين وطردهم من أرض الحجاز.. ومن فضل الله لم ينتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعدما شاهد وشارك فى طرد هؤلاء اليهود من هذه البلاد المقدسة!

وحتى بعد أن تم طردهم من أرض الحجاز.. وقد تجمعوا بعد ذلك فى بلاد الشام وعلى أطراف الجزيرة العربية، ظلوا كاظمين ذلك العداء فى قلوبهم إلى حين، ومع ذلك فقد كانوا كثيراً ما يظهرونه فى مناسبات كثيرة خاصة فى تحالفهم مع أعداء الإسلام سواء من المشركين أو من المرتدين أو من أصحاب الديانات الأخرى!

بل وأكثر من ذلك فقد حاولوا كثيراً تحريف القرآن الكريم، وبعض لمحات من سيرة النبى المصطفى عليه الصلاة والسلام، مثلما فعلوا قبل ذلك مع التوراة والإنجيل ولكن الله سلم، وتم فضح تلك المحاولات وكشفها على أيدى عدد كبير من علماء المسلمين.

ولما ضاق عليهم الخناق فيما يخص حربهم ضد الإسلام.. ظلوا فى انتظار ظهور حلفاء جدد لمعاونتهم فى تلك الحرب.. والغريب أنهم قد نجحوا فى إقناع أتباع الدين المسيحى، بأن الدين الإسلامى يمثل خطورة على دينهم!! مثلما هو خطر على دينهم اليهودى!!.

ونظراً لما يملكونه دائما من وسائل مادية ومعنوية عظيمة حباهم بها رب العالمين وجحدوها ولم يشكروه على نعمائه!، فقد تمكنوا من إقناع هؤلاء الأتباع إلى درجة اليقين بأن دين الإسلام بالفعل يمثل خطورة شديدة على المسيحية!!!

وبدءاً من القرن السابع الميلادى نلاحظ أن المسيحيين فى الغرب بالذات قد أخذوا تحذيرات اليهود مأخذ الجد، وبالتالى فقد بدأوا يعدون معداتهم وأنفسهم للمشاركة فى الحرب ضد الإسلام.

عندئذ التقت الشياطين، واتحدت المصالح.. وتقدم الصفوف كل الذين يحملون فوق أكتافهم وأعناقهم رايات الإرهاب اليهودى مستأنسين برافعى رايات العنف المسيحى!

والغريب أنه سرعان ما تقدم رافعو رايات ذلك العنف إلى الأمام ليحتلوا مكان إرهاب بنى إسرائيل فى طابور هذا العداء وتلك الحرب..

وفى يقينى الشخصى أن ذلك كان مرجعه فى الأصل إلى بنى إسرائيل أنفسهم من الذين زجوا بأتباع المسيح عليه السلام إلى تلك الهوة السحيقة من العداء، ثم تركوهم لاستكمال ذلك المشوار، وهم بجوارهم يشجعونهم بقوة السلاح والأموال والإعلام، حتى وكأن ما نراه اليوم ماثلاً أمام أعيننا، يشبه إلى حد كبير ما كان من أتباع المسيح عليه السلام فيما مضى، عندما تخلوا عن تسامحهم وطيبة قلوبهم ووفائهم لنبيهم الكريم عليه السلام. كى يتفرغوا فقط لمحاربة الدين الإسلامى!

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا: ولماذا!؟. مع أن هذا الدين الحنيف يعترف بكل الأديان السماوية، ومنها بطبيعة الحال.. المسيحية. ليس هذا فقط، بل إنه الدين الوحيد الذى يرفع من مكانة وقدر السيدة مريم أم المسيح عليه السلام باعتبارها من أعظم نساء العالمين. وكذلك من مكانة المسيح نفسه والذى خلقه ربه العظيم من غير أب، كمعجزة كونية فريدة. وفى مقابل ذلك نرى أن اليهود يكيلون لهذه السيدة العظيمة وابنها الاتهامات الباطلة!.

وعلى أية حال فإن هناك آلافا من الصور الأخرى، والتى نستطيع أن نتبين من تفاصيلها.. مَن من الأديان السماوية الأقرب إلى المسيحية؟!. وبشكل عام فإن كل من يقف على تفاصيل تلك الصور بشرط توافر الحيدة.. لابد له أن يشير وبدون تردد، بأنه دين الإسلام.. ولكن ومع شدة الغفلة التى بات يعيشها المسلمون فى كل بقاع الأرض ـ حتى وكأنما قد بات لا يعنيهم ما يحدث لدينهم وعقيدتهم ومستقبلهم ـ فقد انتعش ذلك التحالف، واستمر بقوة طوال عدة سنوات، بل واتخذ من صفة العلانية طريقاً لإظهار قوته وبالذات فى العصر

الحديث. خاصة عندما تحول فى صورة منافع يتم تبادلها باستمرار بين اليهود وبين مسيحيى الغرب!!.

ومما لاحظناه فى مسيرة ذلك التحالف الطويلة، شدة ذكاء اليهود الذى تمثل فى تخاذلهم عن إتمام بعض بنوده فى بعض مراحل التاريخ، تاركين أصحاب العقيدة المسيحية بعدما تحولت إلى العنف، وحدهم داخل أرض معركة العداء ضد المسلمين، وذلك على سبيل التقييم المستمر وإعادة ترتيب الأوراق، وحساب المكاسب والخسارة، فيما حققوه من نتائج تشملهم وحدهم من دون الآخرين.

ثم نراهم سرعان ما يعودون من جديد.. إلى حلبة هذا التحالف، أكثر شراسة مما كانوا عليه.. فهى فرصتهم التى مهدوا لها وبحثوا عنها طويلاً، وقد حان الوقت وفق تصورهم مما يستوجب عليهم أن يُظهروا فيه وبقوة تحالفهم الكبير مع مسيحيى الغرب خاصة ضد كل ما هو إسلامى!

وهم لا يكتفون بذلك فقط، بل ويحاولون استغلال كل فرصة سواء داخل أى مؤتمر علمى أو سياسى أو اقتصادى أو حتى اجتماعى، للإعلان عن هذا التحالف وبنوده وأهدافه. وهم دائما يضعون فى حساباتهم.. ضرورة استخدام كافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة للوصول إلى تلك الأهداف!، مما كان له أكبر الأثر داخل نفوس المسيحيين الغربيين لاستمرارهم داخل هذا الحلف الشيطانى، وبالتالى زيادة جرعة عنصريتهم وعدائهم للإسلام، بل والعمل على توسيع نطاقه وتنويع أساليبه من جانبهم أيضا.

وقد شمل فعلاً كل عناصر حياتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية والعلمية أيضا، وهذا ما يحدث أمام أعيننا الآن فعلاً، بل وفى كل مكان ينتشر فيه الإسلام. وللأسف، لا يزيد موقفنا تجاهه على مصمصة الشفاه والتعجب والحسرة.. والضحك كمدًا أحياناً!!

• • •

وإذا ما كان الإرهاب اليهودى قد لجأ إلى آلاف الوسائل المشروعة وغير

المشروعة لضرب الإسلام والنيل من أتباعه.. سواء وهم بداخل هذا التحالف أو خارجه ـ وكثيراً ما يصيبهم الفشل بفضل الله ـ فإن العنف المسيحى ذاته.. قد أراد الاعتماد تقريبا على نفس تلك الوسائل، ولكن بأشكال وأساليب كانت أكثر تطوراً لمواكبة العصور التى تظهر بها.

ولقد لاحظنا فى هذا السياق. أن ارتباط مسيحيى الغرب المتطرفين تجاه هذا العداء.. اتضح بقوة منذ نجاحهم المؤسف ضد الإسلام والمسلمين فى الأندلس، وقد أعقبوا ذلك بما سبق أن ألقينا عليه الضوء المبهر والمعروف تاريخياً باسم «محاكم التفتيش».

هذه المحاكم التى استغلوها أسوأ استغلال لمعاقبة المسلمين فى أوروبا من الذين تبقوا بعد زوال الامبراطورية الإسلامية هناك.

وقد حاولوا من خلال تلك المحاكم.. التفتيش فى نفوس أتباع هذا الدين وإجبارهم على الدخول فى المسيحية!، أو الموت تعذيباً تحت وطأة أحكام تلك المحاكم الظالمة!

ووفقاً لتقديرات المؤرخين الذين اهتموا بهذه القضية، فقد راح ضحية هذه المحاكم من المسلمين وحدهم مالا يقل عن مليون مسلم!، من أبناء الأندلس وكل البلاد الأوروبية التى دخلها الإسلام آنذاك!.

ولما استطاع المسيحيون الأوروبيون إسكات الصوت الإسلامى إلى الأبد داخل نفوس أتباعه فى أوروبا.. استداروا للبحث عن غيرهم من المسلمين فى كل مكان لإجبارهم على دخول المسيحية، وترك الإسلام..

وقد اعتمدوا فى ذلك على ما أسموه بالاستشراق، أو ما يسميه د. رفيق حبيب بنشاط امبراطورية التبشير الأوروبية! الذى بدأ بقوة فى القرن السابع عشر وما تلاه من قرون على يد الكاثوليك، وعبر رهبانهم، ثم على أيدى البروتستانت فى القرن التاسع عشر.. حتى أصبحت من ملامح

التاريخ المسيحى. نظراً لدورها فى نشر المسيحية عبر كل قارات العالم المسكون[1].

وفى تصورنا الشخصى أن أسس ذلك الاستشراق وكذلك حركات التبشير وكما سبق لنا أن أوضحنا إنما قد ساهم فى وضعها آنذاك اليهود أنفسهم، عندما نجحوا فى إقناع حلفائهم من المسيحيين المتعطشين للعنف بأنها من أهم الوسائل المعتمدة فى مجال الحيلولة دون انتشار الإسلام، بل والمساهمة فى توسيع رقعة الإيمان بالمسيحية، وهو ما يهدفون إليه، لإشعال نيران الحقد داخل صدورهم وبالتالى زيادة حالات محاربة الإيمان بداخل صدور أتباع الإسلام فى العديد من بلدان العالم!!.

• • •

وعندما يتطرق الحديث إلى موقع ذلك التحالف فى عصرنا الحاضر.. خاصة فى تلك السنوات التى نعاصرها الآن.. وربما منذ أكثر من خمسين عاما فقط.. سوف نلاحظ أنه قد ازداد شراسة وقوة فى ظل بروز عدة عوامل يسأل المسلمون عن بعضها وأكثرها.. خاصة بعد أن كشفت الصهيونية الحديثة عن وجهها القبيح، وإعلانها فى عدة مؤتمرات دولية وإقليمية ضرورة تفعيل تحالفها الإرهابى مع الأصوليين المسيحيين فى الغرب ثم فى أمريكا لضرب الإسلام والقضاء عليه!.

وقد قوبل هذا الإعلان بترحيب غير معهود من جانب المسيحية الأوروبية، لاعتقاد أتباعها بأن هذا التأييد الصهيونى سوف يساهم وبشكل فعال فى إشعال الحرب الدينية الحديثة مع المسلمين، وأن ذلك سوف يكون المقدمة التى يشار إليها فى بعض الكتب المقدسة، لأحداث الألفية الأخيرة التى سوف تمهد لظهور المسيح عليه السلام من جديد لكى يحكم العالم ألف عام أخرى، تحت راية الصليب!. ثم يلى ذلك قيام الساعة!

ولو تدبرنا ذلك الحلم الذى سوف نناقشه بالتفصيل فى الفقرات القادمة كأحد نتائج هذا التحالف، سوف نجد أن المسيحيين فى أوروبا قد أخطأوا فهم مضمون

(١) المسيحية والحرب ـ د. رفيق حبيب.

هذا الحدث والذى أشارت إليه أيضاً. بعض الأحاديث النبوية الشريفة، وبعض الأناجيل المقدسة. إذ من المؤكد حقًا أن المسيح عليه السلام سوف يعود إلى الأرض مرة أخرى، لا لكى يحكم العالم تحت راية الصليب كما يشيعون هم ذلك، بل لكى يكسر ذلك الصليب، معلنا العودة إلى وحدانية الله تعالى، وإعلاء كلمة الإسلام، وبالتالى سوف تبدأ فترة حكم عادلة للعالم كله تحت راية الإسلام.

ولقد واصل هذا العداء ارتفاع معدله وقسوته بالإعلان المستمر من جانب المسيحيين فى الغرب ومن خلفهم اليهود، بأن الإسلام هو دينُ الإرهاب، وأن ما يدعون إليه فى تحالفهم المشبوه وما به من أباطيل وخرافات وتزوير وتحريف إنما هو العدل والسلام بعينه!

فبأى عقل وأى منطق وأى فكر مستنير نقبل هذا الخلط، وهذا الضلال القائم على قلب الحقائق والمفاهيم، وعلى رغم من وضوح كل ذلك حتى للمفكرين المحترمين وأصحاب الرأى المستنير داخل المجتمعات الأوروبية، فإن دعوتهم الملعونة بأن الإرهاب هو الإسلام أصبحت وللأسف هى السائدة اليوم!!.

•• نهب ثروات البلاد الإسلامية:

ثم نأتى للحديث عن المظهر الثانى من مظاهر هذا التحالف، وأيضا عن نتائجه وهو المتمثل فى مشاركة الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى فى نهب ثروات العرب والمسلمين فى كل مكان!، مع ضرورة التأكيد فى السياق نفسه على أن الهدف الأكبر والأسمى لذلك التحالف إنما يتمثل فى القضاء على الأمة العربية باعتبارها هى أساس هذا الدين الحنيف.. وبأنها تمثل أكبر مستودع لخيرات الله تعالى فى نصف الكرة الأرضية سواء الطبيعية أو البشرية أو الاقتصادية، وكذلك باعتبارها ثالثاً: من أكبر مناطق العالم الإسلامى جغرافياً!.

ولقد مر هذا النهب بعدة مراحل كما شهد عدة صور، والمتتبع الواعى لتاريخنا

الوطنى، المتمثل فى تاريخ الإسلام والعروبة سوف يكتشف بوضوح أن خطة نهب ثروات الأمة الإسلامية لم تبدأ بين يوم وليلة. . ، بل فى واقع الأمر كان لها جذور عميقة، تمتد لمئات السنين.

وفى تصورنا أن النهب الأوروبى لثروات العالم الإسلامى، والذى تحالف فيه اليهود والمسيحيون فى الغرب، إنما بدأ على سبيل التجريب، مع نجاح القوات الأسبانية فى استرجاع بعض أراضيها من المسلمين فى الأندلس، وقد نشطت آنذاك كل القوى المعادية للإسلام وكذلك حركات السلب والنهب معنوياً ومادياً، مما دفع ببقية الأوروبيين. . وفق تعليمات كبار رجال الكنيسة بالمشاركة فى تفعيل تحالف النهب والسلب للاستيلاء على ثروات المسلمين حتى خارج أوروبا نفسها، تحقيقا لما كانوا يقرأون عنه فى حكايات ألف ليلة وليلة والتى ترجمت إلى لغاتهم، وكذلك بقية الأعمال الأدبية العربية المشهورة.

كما كان لليهود وبلا أدنى شك ـ وفى هذا التوقيت المبكر من العداء والنهب ـ دور محورى، فى إمداد المسيحيين بما هو مطلوب لتفعيل الحركات القائمة على النهب والسلب والاستيلاء على كل ما هوَ إسلامى، حيث كان يعمل معظمهم فى سلك الخدمة داخل قصور المسلمين ولدى حكامهم آنذاك، مما سهل على الأوروبيين. . الوصول إلى أسرار هذه القصور، ومعرفة نقاط ضعف المسلمين ومناطق غناهم. كما كانوا فى الوقت نفسه متعطشين لأموال المسلمين ولدمائهم، وما دفعهم إلى ذلك ما كانوا يتصفون به آنذاك من سمات البربرية التعصبية التى كانت منتشرة فى كل ربوع أوروبا منذ وقت مبكر.

ليس هذا فقط، بل ولقد امتد السلب والنهب إلى ثروات المسلمين العلمية، وكنوزهم الفكرية آنذاك. .

والمتتبع الواعى لتراث الأمة الإسلامية سوف يعرف بالتفصيل. . كيف سرقوا علوم المسلمين ومؤلفاتهم ثم نسبوها إلى علمائهم ظلماً وزوراً، حتى أن بعض المؤرخين المنصفين من الأوروبين أنفسهم قد اعترفوا بفضل الحضارة الإسلامية التى انتشرت فى أوروبا بانتشار الإسلام على الحضارة الأوروبية الحديثة!

ويبدو أن نجاح الأوروبيين ومن ورائهم اليهود فى إتمام هذه الخطوة.. قد شجعهم مرة أخرى على التقدم لخطوات جديدة فى سعيهم للنهب والاستيلاء على العالم الإسلامى وخيراته، وقد بدا ذلك بوضوح فيما اقترفته أيديهم من سرقات ونهب وقتل، عند إعلانهم عن بداية الحروب الصليبية، والتى دعا إليها كما نعرف أحد كبار الباباوات المسيحيين الأوروبيين، وبحجج واهية ومغلوطة!، وكانت تلك الحرب وما تلاها من حروب أخرى قد وصلت فى رأى العديد من المؤرخين إلى ست حروب صليبية، فرصة ذهبية لاستكمال بنود ذلك التحالف الشيطانى بين الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى لنهب العالم الإسلامى، وسرقة أمواله وممتلكاته!، خاصة إذا ما عرفنا أن معظم جنود هذه الحروب من الأوروبيين إنما كانوا من العاطلين والمجرمين وأصحاب السوابق من الذين رأوا فى تلك الحروب منفذاً عظيماً لهم إما للهروب من خطاياهم أو لتغذية تلك الخطايا بجرائم جديدة.

ويكفى تدليلاً على ما نقوله.. أن ننقل بعض الصور الحية من صور هذا النهب وذلك من واقع ما سطره المؤرخ الكبير «ول ديورانت» فيما كتبه عن جرائم الحملة الصليبية الرابعة (١٢٠٢-١٢٠٤م) بالقسطنطينية وذلك فى قوله:

«لقد أقلع الأسطول العظيم المكون من ٤٨٠ سفينة فى أول يوم من شهر أكتوبر ١٢٠٢م. وسط مظاهر الابتهاج والتهليل بينما كان القساوسة الواقفون على أبراج السفن الحربية ينشدون نشيد «تعال أيها الخالق الروح».. ووقف هذا الأسطول الضخم أمام القسطنطينية فى الرابع والعشرين من شهر يونيه سنة ١٢٠٣م.. ولقد رأوا القسطنطينية فسال لعابهم لأنهم لم يكونوا يعتقدون أن فى العالم كله مدينة فى مثل هذا الثراء حين اقتربوا من الأسوار الشامخة والأبراج الضخمة التى تتألف منها والقصور المنيعة والكنائس العالية التى لا يحصى عددها»![1].

(١) قصة الحضارة ـ ول ديورانت.

ثم هناك صورة أخرى أكثر بشاعة من سابقتها.. نقلها إلينا الكاتب المسيحى المتعصب «مكسيموس مونروند»، وهو يقول فيما كتبه:

«.. ومنظر أورشليم استحال بغتة إلى مشهد جديد، لأنها فى أيام قليلة انقلبت من ديانة إلى أخرى، ومن شرائع إلى غيرها، ومن مراسيم وعوايد إلى أخرى، ومن سكان إلى غيرهم. فالغالبون أضحوا أغنياء بالغنائم التى امتلكوها بين أيديهم «فالقايد تنكريد» (القائد) قد امتلك جميع الغنى الذى وجد فى جامع عمر، وهذه قد كانت عظيمة المقدار والقيمة حتى أنه حسب تقدير أحد المؤرخين: لم تكفها ست عربات كبيرة لنقلها، وأنه قد استمر هو مدة يومين مباشراً إخراجها من ذاك الجامع»[1].

ولم يكن لهؤلاء الجنود المسيحيين الغربيين الذين اقترفوا هذه الجرائم ضد كل ما هو إسلامى.. أن يقوموا بمثل ما قاموا به فى أثناء تلك الحروب من تلقاء أنفسهم، بل لقد كانوا ينفذون أوامر كنائسية عليا.. بدليل ما جاء فى هذا الخطاب الذى ألقاه البابا «أوربان الثانى». وصاحب فكرة هذه الحروب خاصة حينما قال: «يامن كنتم لصوصاً كونوا الآن جنوداً. لقد آن الزمان الذى فيه تحولون ضد الإسلام تلك الأسلحة التى أنتم حتى الآن تستخدمونها بعضكم ضد بعض. فالحرب المقدسة المعتمدة الآن هى: فى حق الله عينه وليست هى لاكتساب مدينة واحدة، بل هى أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها العديمة الإحصاء!، فاتخذوا محجة القبر المقدس، وخلصوا الأراضى المقدسة من أيادى المختلسين وأنتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض حسب ألفاظ التوراة تفيض لبناً وعسلاً، ومدينة أورشليم هى قطب الأرض المذكورة.. والأمكنة المخصبة المشابهة فردوساً سماوياً»!![2].

• • •

(١) الإسلام والآخر ـ د. محمد عمارة ـ مصدر سابق.

(٢) تاريخ حرب الصليب ـالعلامة مكسيموس مونروند.

وبعدما أزيح كابوس هذه الحروب.. ورجوع أغلبهم إلى الصواب بالسيف..، وبعد مرور أكثر من قرنين من الزمان.. عاد ذلك التحالف اليهودى المسيحى لينشط من جديد.. وليطل برأسه بقوة مع مطلع العصر الحديث، مواصلاً خطته السابقة لاستنزاف ونهب وسرقة مقدرات وخيرات الشعوب الإسلامية خاصة العربية منها..

ويبدو أن هذا الانفصال الزمنى بين ما هو حادث اليوم ومنذ بداية العصر الحديث وبين ما كان من أحداث قد وقعت بعد الحروب الصليبية ضد الإسلام، كان فقط مجرد فترة لالتقاط الأنفاس لإعادة توزيع الأدوار، ثم دراسة أساليب أكثر شراسة لتحقيق المزيد من النهب والسرقة فى إطار خطة ذلك التحالف القديم والقائم على ضرب الإسلام والانتقام من المسلمين!

والملاحظ أن مطلع العصر الحديث قد شهد انطلاقة كبيرة فى مجال تنفيذ بنود ذلك التحالف فى صور جديدة، كان أقساها المتمثل فى صورة ما يعرف فى التاريخ بالحركات الاستعمارية، والتى ناقشنا أصولها من قبل عندما انطلق المارد الأوروبى المسيحى الظالم ومن خلفه الشيطان اليهودى لتنفيذ أهداف تلك الحركات الاستعمارية.. بالاستيلاء ليس على مقدرات المسلمين فقط وخيراتهم، بل والاستيلاء كذلك على أراضيهم وما فيها من ثروات طبيعية وبشرية واقتصادية. على أمل ضرب هذا الإسلام كعقيدة. ثم سلب ونهب خيرات بلاده!

والغريب أن هذا التحالف وحتى اليوم نراه قائماً فى السر والعلن.. كما نراه كذلك يزداد وتتنوع صوره وأساليبه فى كل المجالات سواء اقتصادية أو سياسية أو حتى إعلامية. بل وفى مجالات أخرى كثيرة نحس بها ولا نستطيع أن نتحدث عنها أو كشفها!!.

• • •

وكما نعرف جميعا فإن الاستعمار الأوروبى للعالم الإسلامى. قد امتد لأكثر

من مائة عام فى بعض بلاده.. وحتى عندما تركها: صارت بلاداً، بلا موارد أو ثروات!

وقد يظن البعض أن الدول الأوروبية التى استعمرت هذه البلاد طويلاً.. ومن بعد خروجها قد تركت الإسلام فى حاله، بل بالعكس.. فقد وضعت الخطط المدروسة بمشاركة اليهود أحياناً. للعودة إلى هذه البلاد مرة ومرات.. حيث نجحوا فعلاً فى حفر أنفاق وسراديب سرية لتخزين تلك المخططات المستمدة من بنود التحالف السابق الإشارة إليه على أمل مواصلة مسلسل النهب والسرقة!!

ومما يوضح لدينا مدى استمرار أطماع الغرب المسيحى ضد بلاد المسلمين حتى فى العصر الحديث، ما ذكره أحد ساسة الولايات المتحدة الأمريكية وهو «ريتشارد نيكسون» الرئيس الأسبق، فى أحد كتبه والذى خصص فيه فصلاً بكامل أوراقه وموضوعاته عن العالم الإسلامى. مما ينم فعلاً عن وجود تلك النوايا السيئة سواء المعلنة أو السرية والتى يكنها الغرب المسيحى للإسلام ولثرواته.

يقول ريتشارد نيكسون فى بعض الذى كتبه عن العالم الإسلامى: «إن العالم الإسلامى والشعوب الإسلامية جميعها وفى كل القارات تفخر بعراقتها وتاريخها. وإن الإسلام قد وقف بصلابة ضد الشيوعية أقوى بكثير مما وقفت المسيحية ضدها، وأن المسلمين يزيدون على المليار نسمة ويعيشون فى ٣٧ دولة من دول العالم، وينتمون إلى ١٩٠ جنسية ويتكلمون مئات اللغات واللهجات، وهذا مصدر قوة كبيرة لهم، وأنهم يسيطرون على معظم البترول الموجود فى العالم ويتمتعون بخصوبة هائلة فى مجال النسل».

«ومن المتوقع تضاعف عددهم فى غضون عشرين عاماً، وأنهم يعيشون فى أرض يبلغ طول أضلاعها عشرة آلاف ميل وتمتد من مراكش إلى يوغسلافيا، ومن تركيا إلى باكستان، ومن جمهوريات آسيا الوسطى إلى أندونيسيا، كما يوجدون فى الصين والهند والاتحاد السوفيتى السابق»[1].

(١) الإسلام وامريكا ـ حوار أم مواجهة ـ د. محمد مورو.

ثم نراه يقول فى المقابل عن حلفائه من اليهود: «إن التزاماتنا تجاه إسرائيل عميقة جداً، فنحن لسنا مجرد حلفاء ولكننا مرتبطون ببعضنا البعض بأكثر مما يعنيه هذا اللفظ. نحن مرتبطون معهم ارتباطاً أخلاقياً، والتزامنا تجاه إسرائيل من ميراث حضارى، وأى رئيس أمريكى لن يسمح بتدمير إسرائيل»[1].

•• تمزيق العالم الإسلامى:

يقول التاريخ.. إن الإسلام، قد استطاع بما أوتى أتباعه من قوة إيمان وعقيدة فى الحق.. أن ينتشر فى كل ربوع الأرض، وأن يحكم ملايين من البشر، سواء من الذين آمنوا به أو لم يؤمنوا. وقد كانوا جميعا تحت راية الإسلام سواء بسواء.

هذه القوة وهذا الإيمان قد أسفر عن تكوين إمبراطورية إسلامية ضخمة حكمت نصف العالم القديم والجديد ما يقرب من ألف عام، وكلما كان الإسلام قوياً ازدادت قوة العرب، وكذلك كل أتباع هذا الدين، وبالتالى يستحيل على الأعداء النفاذ إليهم والنيل منهم.

ونظراً لما يتمع به بنو إسرائيل من علوم وما أحرزوه من ذكاء وأموال. فلم تغمض أعينهم عن مصادر قوة الإسلام.. بل وأخذوا فى دراستها بعناية، وكانوا فى كل عصر.. يجربون أساليب لتفريق جميع المسلمين هنا أو هناك.

لذلك نجد أنهم قد أفادوا مسيحيى الغرب فى هذا الأمر كثيراً بإمدادهم بما يلزم لتحقيق ما يهدفون الوصول إليه.

ومع كل عصر جديد، أخذت الوسائل تتنوع وتختلف، فى الوقت الذى أخذ فيه قطاع كبير من المسلمين يبتعدون عن دينهم، مما ساهم بقوة فى نجاح التحالف اليهودى المسيحى لتنفيذ مخططاتهم.. وقد أخذوا بأسباب الحضارة، فى حين تخلف المسلمون عن الأخذ بتلك الأسباب..

---

(١) الفرصة السانحة ـ ريتشارد نيكسون ـ ترجمة أحمد صدقى مراد.

وعلى العكس من ذلك فقد أخذ المسيحيون فى الغرب ينظمون صفوفهم ويزيدون من تفاعل تحالفهم القديم مع اليهود.

وكما نعرف.. فعندما تزداد الشعوب قوة، سواء بالسلاح أو بالعلم تزداد طموحاتهم لهزيمة الآخرين!.

ونرى الغرب قد جرب من قبل عشرات الوسائل الفعالة لضرب الإسلام فى دياره.. وكان من ذلك ما سبق أن سقناه. سواء ما يتعلق بنهب ثروات المسلمين أو بمحاربة الدين الإسلامى ذاته!

ومع كل نجاح كانوا يحرزونه تشتاق أنفسهم لتحقيق المزيد.. وقد رأوا أن سلاح التفرقة بين هذا الجمع الغفير من المسلمين سوف يضمن لهم تحقيق بنود هذا الاتفاق بدون عناء أو مقاومة، وكانت هناك ظروف وملابسات عديدة ساهمت فى تحقيق هذا الهدف الخطير. وطبعًا إلى جانب ضعف المسلمين أنفسهم وتخاذلهم، بل وانسياق معظمهم فى طريق الانبهار المسيحى الأوروبى سواء على سبيل الفرجة، أو التمنى..

ومع مرور الأيام والسنوات، وثبات المارد الأوروبى وتفوقه بمساندة اليهود فى كل مجالات الحياة.. كان لابد من تحقيق أحد أهداف أو أحد مظاهر تحالفهم الملعون.. وذلك بالعمل على تفكيك وحدة المسلمين، وبث بذور التفرقة فيما بينهم!

والحق أنهم قد نجحوا ولايزالون فى نجاحهم هذا وفى تألقهم، تجاه تحقيق هذا الهدف الاستراتيجى. وما نراه اليوم من هذه المظاهر المتكررة، والتى توحى بأن الإسلام لن يتحد أصحابه من جديد! تؤكد على ذلك!!. رغم أنها حقيقة لا توجد فقط إلا فى داخل رؤوس أصحابها، ذلك لأن الإسلام دائماً غالب على أمره لا محالة، وبالتالى فسوف يعود أتباعه مرة أخرى لقيادة العالم من حيث كانوا أقوياء، بلا تفرقة أو خلافات، والمطلوب فقط، هو البحث عن الأسباب لتلافيها بإخلاص ونية صادقة.

وعندما تتواجد القوة، ويعود الاتحاد لأهل الإسلام بالعودة إلى الله، سوف

تكون تلك هى البداية التى نبحث عنها والتى يخشاها الآخرون، وعندئذ سوف تعود كل الأشياء إلى أصولها، وبالتالى سوف تسقط كل دعاوى وبنود وأهداف تحالف الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى المتطرف والذى يكبر يوماً بعد يوم. وفى صور مختلفة سواء فوق شفاه الأوروبيين أو شفاه غيرهم، بل وفوق أوراقهم المطبوعة أيضا.

وهناك العشرات من هؤلاء الذين يحلو لهم ترديد ذلك فى كل لحظة وأوان.. وهاهو أحد هؤلاء الدعاة من الذين يروجون لفكرة تفكيك العالم الإسلامى والعمل على بث الفرقة بين أتباعه.. إذ يقول البارون «دى كارافو» فى أحد كتاباته:

«أعتقد أن علينا أن نعمل جاهدين على تمزيق العالم الإسلامى وتحطيم وحدته الروحية، مستخدمين من أجل هذه الغاية الانقسامات السياسية والعرقية.. دعونا نمزق الإسلام، بل ونستخدم من أجل ذلك الفرق المنشقة والطرق الصوفية، وذلك لكى نضعف الإسلام ولنجعله عاجزاً إلى الأبد عن صحوة كبرى[1].

•• تحقيق الحلم الصهيونى:

ونصل معا إلى أهم وأخطر النتائج التى تم ويتم العمل على تحقيقها منذ زمن طويل. سواء على أيدى المسيحيين فى الغرب أو اليهود فى كل مكان، وهى إقامة دولة إسرائيل الكبرى.. ففى عام ١٩١٧ أعلنت الامبراطورية البريطانية والتى كانت تهيمن آنذاك على كل مقدرات الشعوب الإسلامية سواء فى آسيا أو فى أفريقيا عن قيام دولة لليهود فى فلسطين.

وبريطانيا كانت إلى هذا التوقيت الممثل الشرعى والعظيم للمسيحيين الغربيين الذين حملوا لواء الحرب ضد الإسلام والمسلمين!، كما كانت من قبل إحدى الدول حاملة لواء الحروب الصليبية فى العصور الوسطى وأيضا لمحاربة الإسلام والمسلمين!!.

(١) الدراسات الاستعمارية فى الإحياء الإسلامى فى القرن ١٩ ـ مروان بحيرى.

وكان هذا الوعد، هو بداية انطلاقة حقيقية فى حياة اليهود والصهيونية العالمية لأجل جنى ثمار ذلك التحالف الذى طال أمده مع مسيحيى الغرب!.

وقد نظن أن اليهود كانوا ينتظرون فقط هذا الوعد أو هذا الاتفاق المكتوب رسمياً من جانب بريطانيا، وذلك لإقامة هذا الوطن وتحقيق ذلك الحلم!.

ولكن الحقيقة، أن بنى إسرائيل كانوا يعملون بكل همهم لأجل الوصول إلى هذا الهدف، لذلك نراهم كانوا فى طليعة مشجعى الحلف الشيطانى ضد كل ما هو إسلامى.

وقد عرفوا نظراً لخبراتهم الطويلة فى التآمر، أن الطريق لتحقيق هدفهم الكبير، لابد أن يكون فوق أنقاض الإسلام!!، وهى نفس الرغبة التى أشعلوها بقوة وبذكاء بداخل نفوس المسيحيين فى الغرب، والذين يعرفون الآن باسم الأصوليين أو المتطرفين.

ففى عام ١٩٤٨.. وبعد حرب هزيلة، نالت تأييداً كبيراً من جانب بريطانيا ضد عرب فلسطين، بل وضد العرب جميعاً، تم الإعلان رسمياً ودولياً عن قيام دولة إسرائيل فوق نصف فلسطين.. تمهيداً للإعلان العظيم عن قيام دولة إسرائيل الكبرى التى من المقرر وفق بنود ذلك التحالف أن تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات!!.

وفى الوقت الذى كانت فيه الصهيونية تسعى للتأييد المسيحى فى أوروبا فقط، نجح زعماؤها فى مد هذا التأييد إلى القارة الأمريكية والتى تحولت إلى أكبر مستودع للأصولية المسيحية آنذاك، التى قامت هى الأخرى فى أمريكا على فكرة أرض الميعاد!!. إذ اتضح تاريخيا أنه فى عام ١٦٣٠م.. جاء المستعمرون البروتستانتيون الذين أسسوا مستعمرة خليج ماساتشوستس إلى العالم الجديد بدوافع دينية.. وقد جاءوا من بريطانيا إلى هنا كى يحيوا حياتهم بالشكل الذى يتماشى مع رؤاهم الدينية حيث تعذر ذلك فى إنجلترا[1].

(١) الدين والسياسة فى الولايات المتحدة ج (١) ـ مصدر سابق.

ولذلك نرى أنه عند وصول هؤلاء المهاجرين البروتستانت الأوائل إلى تلك البلاد الجديدة، اعتبروا أمريكا هى «أورشليم الجديدة» أو كنعان الجديدة «وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء حين فروا من ظلم فرعون وهربوا من أرض مصر وكانت بمثابة أرض الميعاد الجديدة![1].

ولا شك كانت كل هذه التصورات ماثلة أمام الصهاينة الجدد من الذين سعوا بشتى الطرق لكسب المسيحيين ومواقفهم، خاصة فى أمريكا. . بعد ضمان ولاء مسيحيى الغرب خاصة فى بريطانيا للوصول إلى ما كانوا يحلمون لتحقيقه على أرض الواقع!

وقد ساعدهم ذلك كثيراً فى الإسراع على تحقيق هذا الحلم، بل وضمان التأييد المستمر له، وإلى الأبد حسب ظنهم المريض!

وفى كل يوم يمر على هذه الدولة الجديدة، كان حكامها من اللصوص وزعماء العصابات الهاربين من أوروبا يثبتون للمسيحيين أنهم لن يندموا أبداً على مواقفهم وتأييدهم المطلق لليهود!، لأنهم ينفذون بكل دقة بقية بنود ذلك التحالف القديم والسابق الإشارة إليه.

ولذلك فقد كانت دائما تنال ولاتزال المزيد من التأييد من أوروبا ومن أمريكا على جه الخصوص، ومن جانبها سعت إسرائيل وفق هذا التأييد إلى توسيع رقعتها المساحية مع اقتناع الغربيين والأمريكيين بأن هذا التوسع، إنما يساهم فى حصر الإسلام وضرب أتباعه!.

وقد قاربت إسرائيل على الوصول لما سبق الاتفاق عليه داخل بنود ذلك الحلف، سواء من حيث رقعتها المساحية أو دورها فى خدمة المسيحية لضرب الإسلام!

ومازالت المساعدات تنهال على هذه الدولة التى ترفع رايات الحرب الدائمة ضد كل ما هو عربى وإسلامى، فى مقابل الترحيب بكل ما هو مسيحى!!! سواء أوروبى أو أمريكى.

(١) الإمبراطورية الأمريكية ـ ج (٢) ـ بقلم رضا هلال.

ولكى ندلل على ما سبق أن ذكرناه بشأن التأييد المطلق لإسرائيل من جانب كل مسيحيى الغرب. تعالوا نقرأ هذه العبارات التى تُليت فى المؤتمر المسيحى الصهيونى الذى عقد فى شهر إبريل من عام ١٩٩٨ تحت عنوان: المؤتمر المسيحى الصهيونى الدولى.. حيث يقول «فان هوفان» أحد المفكرين المسيحيين المشاركين فى هذا المؤتمر: «إن الله فى هذا العصر شغوف بأولئك المسيحيين الذين يعضدون إسرائيل!، ويعتبرهم الكنيسة الحقيقية! وبهم سوف يتبارك العالم، ومن خلالهم تعود إسرائيل إلى أراضيها»».

ويعلق القس إكرام لمعى على ذلك بقوله: إن هوفن قد حكم على المسيحيين بأن أمامهم خيارين، إما أن يختاروا الانضمام إلى الكنيسة العامة الحالية بكل طوائفها. وعلى رأسها روما وهى الفرع وليس الأصل. أو أن ينضموا إلى الكنيسة الحقيقية التى تبارك إسرائيل وتعضدها وهى الأصل!!. وهو يعتمد فى هذا على فكرة أن المسيحية طائفة يهودية خرجت عن أصلها، والآن يعود الفرع إلى الأصل، وبالتالى يجب أن يتخلى المسيحيون عن جنسياتهم ويصبحوا إسرائيل الله!!.

•• العالم تحت راية الصليب!:

من يقرأ فى الفكر اللاهوتى المسيحى بعناية.. لابد أن تصيبه الدهشة، عندما يصل إلى ما يقال عن حكاية الملك الألفى أو ظهور المسيح عليه السلام مرة أخرى ليحكم العالم لمدة ألف عام.. كدليل على نهاية العالم وقرب يوم القيامة!.

ذلك لأن معظم الذين يؤمنون بالمجىء الثانى، إنما يعلقونه على نشوب حرب مدمرة بين اليهود وبين أتباع الأديان من غير المسيحيين بطبيعة الحال!! وهم بذلك يقصدون المسلمين!.

هذه الفكرة قد أصبحت تسيطر وبقوة على عقول كل المفكرين والساسة وقادة الحرب سواء فى أوروبا أو فى أمريكا من الأصوليين المسيحيين ومن المتطرفين. وهذا يفسر لنا كما سبق أن ذكرنا.. ذلك التأييد المحموم لإسرائيل.. فيما تقترفه

من أعمال شيطانية ضد العرب والمسلمين على أرض فلسطين.. باعتبار أن إسرائيل اليوم.. هى نواة لإسرائيل الكبرى التى تحدثت عنها الكتب المقدسة.. والتى يجب أن تمتد حدودها من النيل إلى الفرات! وأن ما تقوم به الآن مكتوب لديهم فى الكتب المقدسة.

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق وحتى لا نتصف بعداء السامية أو غيرها من الألفاظ الكبرى والتى يحلو للبعض منهم استخدامها، نؤكد أن جميع المسلمين، وفق ما جاء فى السيرة النبوية.. من أحاديث شريفة صحيحة يؤمنون إيماناً لا شبهة فيه بعودة المسيح عليه السلام إلى الأرض مرة أخرى ليحكم العالم قبل يوم القيامة.

بل وإن هذا الظهور أو هذا المجىء الثانى وفق رؤية المسيحيين والمسلمين أيضا إنما هو من علامات الساعة الكبرى والتى أشار إليها أيضا رسولنا ﷺ فى بعض أحاديثه الصحيحة.

ولكن الخلاف العظيم بيننا وبينهم هو أن هناك حربًا تدميرية سيقودها اليهود ضد المسلمين، وقد سبق لنا أن صححنا هذا المفهوم، وقلنا إنها ستكون ضد اليهود أنفسهم وليس ضد المسلمين! فالحرب المنتظرة سوف تكون الدائرة فيها على بنى إسرائيل، وأن ظهور المسيح عليه السلام سيكون هدفه هو نشر دين الإسلام القائم على التوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد.

ولكن لمسيحيى الغرب رؤية خاصة بهم.. إذ حولوا هذه القضية المستقبلية والتى لايزال عليها خلاف كبير إلى رؤية سياسية تخصهم وحدهم ليحققوا من ورائها بقية أهداف تحالفهم مع الشيطان اليهودى والمسلط على رقاب المسلمين.

ورغم وجود اختلافات داخل المسيحية نفسها وفق تأكيد القس إكرام لمعى على كيفية المجىء الثانى للمسيح عليه السلام، إلا أن هذه الاختلافات نفسها كانت هى الثغرة التى نفذت منها الصهيونية كى تقنع بعض المسيحيين بأنها كأكبر دولة علمانية عسكرية، تعتبر إحدى علامات هذا المجىء!!

ليس هذا فقط، بل استطاعت الصهيونية العالمية على حد قوله من استغلال هذه الفكرة من أصلها والتى جاءت فى بعض الأسفار فى خدمة اليهود أنفسهم وليس المسيحيين أصحابها.. إذ روجوا بأن المسيح فى مجيئه الثانى سيأتى لأجل اليهود بنفس عقيدتهم القديمة!، وبالتالى ستعود المسيحية إلى الشجرة الأم وهى اليهودية![1].

• • •

ولو تدبرنا أمر تحقيق هذا الحلم الكبير للمسيحيين الغربيين وبدقة، نستطيع أن نحكم على كل سلوكياتهم الآن تجاه العالم الإسلامى ودوله وشعوبه. إذ هم لا يتركون إسرائيل وحدها لتحقيقه، بل نراهم يساهمون كذلك فيه وبشكل كبير، ليس بالكلمات فقط، ولكن بالدعم المادى والعسكرى!.

وهذا يفسر لنا بوضوح تلك الحملات الصليبية الجديدة والمحمومة ضد كل ما هو إسلامى، سواء كان فيه الصواب أم شابه الخطأ!.

وما حرب العراق الأولى أو الثانية التى وقعت فى عام ١٩٩١. إلا واحدة من تلك المحاولات الغربية لاستعجال إشعال تلك الحرب التى يرونها نهاية المطاف وعلامة من علامات ظهور المسيح مرة أخرى ثم الإعتداء الأخير.. بقيادة أمريكا ومباركة إسرائيل والذى أسفر عن احتلال العراق. ثم ثالثا. ما يقع الآن فى جنوب السودان من عمليات تنذر بخطر الحرب.. بعد محاولات انفصال الجنوب المسيحى عن الشمال المسلم. وما يحدث فى كل أنحاء العالم الإسلامى.. فى أفغانستان وفى إندونيسيا وفى باكستان وفى غيرها.. إلا من نوعية هذه المحاولات لتسريع نشوب حرب آخر الزمان.. وظهور المسيح عليه السلام من جديد؛ وبالتالى تحقيق الحلم الأكبر للمسيحيين سواء هنا أو هناك!.

---

(١) المصدر السابق.